

تأليف

أبو الفتح محمود بن الحسين كشاجم

دراسة وشرح وتحقيق

الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان

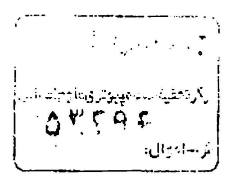
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

أدب النديم

تأليف

أبو الفتح محمود بن الحسين كشاجم



دراسة وشرح وتحقيق

الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة



الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ٩٩/٣٦٦٨

الترقيم الدولى : .I.S.B.N

977 - 5046 - 54 - 8

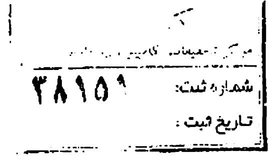
• تصميم الغلاف بريشة الفنان محمد فريد

• الخطوط بريشة الخطاط أوس الأنصارى

الشركة الدولية للطباعة ش.م.م

مدينة ٦ أكتوبر - المنطقة الصناعية الثانية

ت ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤١ ... فاكس ٣٣٨٢٤٤



الإهـــداء

إلى أستاذى الذى يحبنى وأحبه ، ولا يملُّنى ولا أملُّه رغم طول اللقاء ، ودوام الملازمة ، وكلما طال جلوسى أمامه قدم لى تُحفًا وهدايا ، فى حين لا أقدم له شيئا ، وما رأيته فى يوم يعبس فى وجهى إذا نسيت شيئًا وسألته عنه ، بل إنه يكون دائم البَشَاشة ، حسنَ الاستقبال ، فرحًا باللقاء .

إلى الكتاب ، أى كتاب قرأت ، وأى كتاب أقرأ ، وأى كتاب سأقرأ .

المحقق

الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

من عادة الآباء أن ينسوا - أو يتناسوا - الأبناء الذين يكبرون ، أو يشبُّون عن الطَّوق ، وهذا النسيان - أو التناسي - ليس كرهًا لهؤلاء الأبناء الذين فُطموا من الاهتمام أو شدته ، وإنما يكون هذا النسيان بسبب الاشتغال بالابن أو الأبناء الذين ينتظر الأب ظهورهم في الحياة ، فهو يهتم بالجنين الذى لم يظهر بعد من حيث صحته وقوته ؛ ليكون مثل إخوته في الصحة والقوة ؛ وليكوِّن مع إخوته حلقة واحدة .

وقد يكون الاشتغال عن الأبناء الكبار كبيرًا إذا كان الأب ينتظر عددًا من الأبناء في بطن واحدة ، وهذا الانتظار من الأب يكون مشحونًا بمزيج من الفرح والخوف معًا : الفرح لأن هناك مخلوقًا جديدًا سيظهر إلى الوجود ، ويُدخل البهجة في قلب الأب ، ويزيد في الأفراح فرحًا آخر . والخوف من أن يكون في هذا الجنين عيب في تكوينه يظل به متعَبًا في حياته ، ويكون الأب من أجل هذا أشد تعبًا ؛ لأنه يحس أنه السبب في هذا العيب ، ويقول في نفسه : لو كنتُ فعلتُ كذا أو كذا لكان هذا الابن سليمًا من كل العيوب .

ويظل الأب في هذا النسيان أو التناسي حتى ينبهه أحد الناس إلى أن ابنه فلانًا تفوّق في كذا أو أجاد في كذا ، أو تبدو عليه مخايل النَّجابة ، أو ماشابَه هذا ، عند ذلك ينتبه الأب ، ويطرح عن نفسه كل عوامل النسيان أو التناسي ، ويبدأ - إلى حين - في إعطاء هذا الابن الذى نُبّه إليه بعض اهتمامه ، ومشاركة إخوته الذين لم يظهروا بعد ولهم الحق في الاهتمام الأكبر .

وقد جاءنى التنبيه إلى أحد أبنائى الذين نسيتهم أو تناسيتهم من أخى الفاضل الأستاذ محمد الخانجى ، فقد أرسل إلىّ نسخة من كتاب « أدب النديم » مطبوعة في العراق سنة ١٩٩٠ م ، أى بعد نسختي بثلاث سنوات ، وقد قام بتحقيق النسخة العراقية الأستاذ نبيل العطية .

وكان التنبيه الذى أتانى من الأستاذ محمد الخانجى بمثابة صدمة كهربائية أيقظتنى إيقاظًا كاملًا ، وجعلتنى أنسى الابن الذى مازال جنينًا فى بطن الأيام ، وألتفت إلى الابن الذى كبر وشبّ عن الطّوق ، فجلست ليلة كاملة لم أنم فيها حتى أتممتُ قراءة نسخة العراق مع مقابلتها بنسختى .

وقد خرجتُ من القراءة بنتيجة أحتفظ بها لنفسى الآن ، ويمكن لباحث محايد أن يصل إلى مثل ماوصلتُ إليه في يوم من الأيام .

ولما وجدتُ الرغبة من أخى الأستاذ محمد الخانجى فى إعادة طبع هذا الكتاب - وكنتُ قد طبعته فى طبعته الأولى على نفقتى فى مطبعة التقدم ولها رقم إيداع فى دار الكتب - رحبت كل الترحيب وبحثت فى أدراجى عن النسخة التى كنت أكتب عليها تهميشات وزيادة فى التعليقات فى أثناء قيامى بتحقيق كتاب « يواقيت المواقيت » للثعالبى ، ولهذا الكتاب قصة ستأتى فى حينها إن شاء الله مع طبع الكتاب .

ولما وجدت النسخة المذكورة قدّمتها للأستاذ محمد الخانجى ليقوم بإخراجها بطريقته الجيدة فى الطباعة والإخراج مما يجعله أهلًا للجائزة التى حصل عليها تقديرًا لجهوده فى الاهتمام بإخراج التراث ، وأرجو أن تكثر جوائزه .

وها أنا أيها القارئ العزيز أضع بين يديك ابنًا من أبنائى كان قد سبق إلى الوجود منذ أكثر من عشر سنوات ، وقد نفضت عنه عوامل النسيان أو التناسى ، وهو فى نظرى الآن جديد قديم ، أو قديم جديد ، ولكنه فى النهاية ابنى فى كل حالاته ، أحبه وهو صغير ، وأحبه وهو كبير ، وأحبه وهو بعيد عنى كما أحبه وهو قريب منى ، بل وأحبه حتى بعيوبه ، ولا أرضى بشئ إلا أن يكون ابنى أدفع عنه الغوائل ، وأضعه بين جلدة الأنف والعين .

ولا يسعنى هنا إلا أن أذكر أنه عندما قدمت نسخة الطبعة الأولى إلى أستاذى العلّامة محمود شاكر - رحمه الله أبدى إعجابه بعملى فيه ، إلا أنه اعترض

بشدة ولامنى لوما شديدا وبعنف على الخط الذى كتب به عنوان الكتاب ، وإن لومه هذا شرف كبير لأمثالي ، وإنني أرجو أن يكون الخط فى الطبعة الثانية ممايرضى روحه في الفردوس الأعلى إن شاء الله .

والله أرجو أن ينفع بهذه الطبعة الثانية كما نفع بالطبعة الأولى إنه سميع مجيب .

الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان

القاهـــــرة
فى
مدينة نصر

٢١ من رمضان ١٤١٩ هـ
٩ من يناير ١٩٩٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الدراسة

آثرتُ أن تشتمل هذه الدراسة على قسمين يتصل كل منهما بالآخر اتصالًا وثيقًا ، ولكن نظام البحث العلمي يقتضى فصلهما ، وإن كانا فى النهاية متصلين ، وسوف يرى القارىء المتأنى أن القسم الأول كالمقدمة لنتيجة هى القسم الثانى ، كما سيرى أن القسم الثانى الذى هو نتيجة يحتاج فى معرفته إلى القسم الأُول الذى هو كالمقدمة ، ومن هنا فالربط بينهما واجب ، وإن كان الفصل بينهما من مقتضيات البحث العلمى .

وآثرت أيضًا أن يكون القسم الأول مشتملًا على جوانب محددة هى :

١ - حلب عاصمة الحمدانيين .

وهذا العنوان يندرج تحته جزئيات تتكون من مجموعها صورة كاملة لهذه العاصمة التى دخلت التاريخ ، ولن تخرج منه .

وهذه الجزئيات هى : تاريخها وأصل تسميتها - خضوعها للحكم الإسلامى ، ومكانتها فيه - استيلاء الحمدانيين عليها وتكوين دولتهم فيها .

٢ - قيام الدولة الحمدانية .

وهذا العنوان يقتضى منا دراسة الظروف السياسية التى أدت إلى ظهور هذه الإمارة الإسلامية وغيرها من الإمارات فى شرق العالم الإسلامى ومغربه .

٣ - الحالة الاجتماعية فى القرن الرابع بعامة وفى الدولة الحمدانية بخاصة ، وانعكاس هذه الحالة على الاتجاهات الأدبية والفكرية .

ويكون القسم الثانى مشتملاً على النقاط الآتية :

١ - كشاجم : التعريف به ، وتوضيح مكانته الأدبية .

٢ - التعريف بكتاب أدب النديم ، وعرض موجز لأبوابه .

٣ - التعريف بنسخ الكتاب .

* * *

القسم الأول

١ - حلب عاصمة الحمدانيين

(أ) تاريخها وأصل تسميتها :

حلب هي إحدى المدن التي تضرب بجذور عميقة في أرض الزمن ، وفي مثل هذه الحالة يجد الإنسان نفسه يمسك بأقرب جذر من هذه الجذور ليبني عليه حكمه الذي يريد له أن يكون قريبا من الصواب إن لم يكنه ، وفي مثل هذه الحالة أيضًا تنبني الأحكام أو أكثرها على الحدس الذي يمسك في بعض نواحيه ببعض أجزاء من الحقيقة .

وإذا أردنا أن نعرف التاريخ القديم لهذه المدينة فإنه يكون من الملزم لنا أن نعرف سر تسميتها بهذا الاسم دون غيره ، ولا يظن ظان أن التاريخ غير التسمية لأننا في هذه الحالة وما يشبهها نرى أن التاريخ هو التسمية ، وبدايته تكون منذ إطلاق هذه التسمية على تلك البقعة ، وأيضًا يجب أن نعرف هنا أن هذه التسمية ليست أمرًا صادقا كل الصدق ، كما أنّها ليست أمرًا كاذبًا كل الكذب ، ولكنها تجمع من الجانبين ما يمكن أن يقربنا من الغرض ، وإن كان لا يضعنا أمامه ، أو لا يضعه أمامنا ، وإن كان لا يحرمنا في كل الأحوال من تصور ما يمكن أن يكون دلالة على الأمر ، أو صورة غير واضحة المعالم ، وإن كانت على كل الأحوال أحسن من عدم وجودها .

والذي يقرأ ما كتبه المحدثون عن هذه التسمية التي هي حقيقة الوجود التاريخي لهذه المدينة يرى أن هذه الكتابات مؤسسة على كتاباتنا نحن المسلمين في عصور سابقة كان لنا فيها الريادة وحَمْلُ الراية ، وكانت كلمتنا فيها مسموعة بحيث إذا تكلمنا صمت كل المتحدثين من ذوى الألسن المعوجة ، ولكننا الآن لا نأخذ تاريخنا ولغتنا إلا من هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يقيموا جملة عربية صحيحة ، ورحم الله أيامًا كان العرب يأخذون فيها لغتهم من البادية التي لم تختلط فيها

الألسن بغيرها ، ولعنة الله على ظروف تنسينا ذلك وتجعلنا نأخذ لغتنا - وإن شئت فقل أصول ديننا - من أبناء يهود ، أو ممن تتلمذوا على أيديهم ، وهم - مهما تذرعوا بالبحث العلمي واختفوا وراء تلك الراية - لن يكونوا أكثر منا حرصًا على تاريخنا ولغتنا وديننا من التشويه والتحريف والتضييع .

من هذا المنطلق - وإن شئت فأضف إليه التعصب لما نقوله عن أنفسنا ، لا ما يقوله غيرنا عنا - أجدني مستريحًا إلى أن أولي وجهي نحو تراثنا أستخرج كنوزه ، ويكون هو مقصدي الأول في البحث ، فإن جاء شيء مما قاله الأعاجم بعد ذلك فإنما يكون بمثابة تأكيد لما قلته من أنهم على مائدتنا يعيشون ، ولكنهم يمتازون عنا بأنهم يزينون ما يقولون ، أو يعرضون بضاعتهم عرضًا جيدًا .

وفي سبب تسمية هذه البقعة باسم حلب : يذكر لنا ياقوت رأيين لا يخلوان من الحقيقة أو جزء منها فيقول [١] في الأول : « قال الزّجاجي : سُميت حلب لأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ، ويتصدق به ، فيقول الفقراء : حلب حلب فسمي به » .

ولكنه يعترض على هذه التسمية ، ويحاول إيجاد مخرج للاعتراض فيقول [٢] : « قلت أنا : وهذا فيه نظر ؛ لأن إبراهيم عليه السلام وأهل الشام في أيامه لم يكونوا عربًا ، إنما العربية في ولد ابنه اسماعيل عليه السلام ، وقحطان ، على أن لإبراهيم في قلعة حلب مقامين يُزاران إلى الآن ، فإن كان لهذه اللفظة أعني حلب أصل في العبرانية أو السريانية لجاز ذلك ؛ لأن كثيرًا من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقه إلا بعجمة يسيرة » .

واعتراض ياقوت على هذه التسمية وجيه كل الوجاهة ، ومحاولته الخروج من مأزق الاعتراض أكثر وجاهة ؛ لأنه علّق اقتناعه بالتسمية إذا كانت هناك دلالات لفظية غير عربية توافق الدلالة العربية للتسمية .

وقد أكدت الدراسات التي أجريت على النصوص البابلية والآثار الأشورية والنقوش المصرية وجود مملكة صغيرة خاضعة لملك الحيثيين باسم « حلبو » . وقد

---

(١) انظر في معجم البلدان (حلب) ، وصبح الأعشى ١١٦/٤

(٢) معجم البلدان (حلب) .

وقعت فى هذه المدينة حروب بين ملوك مصر من الفراعنة ، وملوك « حلبو » من الحيثيين ، وقد انتهت هذه الحروب بمعاهدات وُدٍّ وصداقة بين الجانبين [١] .

وقد تغيّر هذا الاسم « حلبو » فى عصور مختلفة فصار « حلوان » أيام الأشوريين و « بيروا » أيام اليونانيين والرومانيين وهذا الاسم « بيروا » يذكره ياقوت « باروا » ثم عادت إلى اسمها أيام الفرس ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فى التسمية فإنها رجعت إلى التسمية الآرامية « خلب » وإلى التسمية العربية « حلب » [٢] .

وعلى هذا فإن إطلاق اسم « حلب » على هذه البقعة بسبب ما كان يقوله الفقراء عندما يسمعون الخليل إبراهيم عليه السلام وهو يحلب بقرته فيه شىء من الصحة .

ويقول ياقوت فى الثانى [٣] : « وقال قوم : إن حلب وحمص وبرذعة كانوا إخوة من بنى عمليق فبنى كل واحد منهم مدينة فسُميت به ... ويقال : إن لهم بقية فى العرب لأنهم كانوا قد اختلطوا بهم ، ومنهم الزباء ، فعلى هذا يصح أن يكون أهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربية فيقولون « حلب » إذا حلب إبراهيم عليه السلام » ، وذكر فى موضع آخر أنها سُميت بهذا الاسم لأنه « لما ملك بلقورس الأشورى الموصل وقصبتها يومئذ نينوى كان المستولى على خطةّ قنسرين حلب بن المهر أحد بنى الجان بن مكنف من العماليق ، فاختط مدينة سُميت به » .

وفى هذا الذى يذكره هنا أيضًا جانب كبير من الصحة لا يستطيع العقل قَبوله كله ولا رفضه كله ، وإن كان يمكن التوفيق بين سبب التسميتين بأن يكون الذى بناها اسمه « حلب » ، وأن يكون الفقراء قد قالوا عند سماعهم فعل إبراهيم عليه السلام « حلب » فيكون هناك تطابق عن طريق المصادفة بين الحدث الذى وقع من إبراهيم وبين تسمية المدينة ، ولا يهمنا هنا من يكون السابق فى التسمية .

---

(١) انظر : كتاب محاضرات عن الحركة الأدبية فى حلب ص ٨ للدكتور سامى الكيالى ، وكتاب سيف الدولة وعصر الحمدانيين ٥٤ ، ٥٥

(٢) سيف الدولة وعصر الحمدانيين ٥٤ ، ٥٥

(٣) معجم البلدان (حلب) ، وقريب من هذا فى صبح الأعشى ١١٦/٤

والحق أن ياقوتًا طوف كثيرًا فى حديثه عن هذه المدينة فذكر تاريخها من حيث تسميتها كما ذكر ما ابتليت به على مر العصور ، وذكر أيضًا أجزاءها وجوانب أسوارها وأبوابها ومياهها .

وقد استهل حديثه عن حلب بقوله : « مدينة عظيمة واسعة ، كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة الأديم والماء ، وهى قصبة جند قنسرين فى أيامنا هذه » .

وختم حديثه عن حلب بما قاله شاعرنا كشاجم فقال : « وقال كشاجم [١] :

أَرَتْكَ نَدَى الْغَيْثِ آثَارَهَا ... وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَزْهَارَهَا

وَمَا أَمْتَعَتْ جَارَهَا بَلْدَةٌ ... كَمَا أَمْتَعَتْ حَلَبٌ جَارَهَا

هِيَ الْخُلْدُ يَجْمَعُ مَا تَشْتَهِي ... فَزُرْهَا فَطُوبَى لِمَنْ زَارَهَا »

* * *

(ب) خضوعها للإسلام ومكانتها فيه :

قد لا يعجب بعض القراء هذا العنوان ، انطلاقا من مبدأ أن هذا العنوان قد يجر علينا مشاكل كثيرة من حيث اتهامات المستشرقين وأتباعهم للإسلام بأنه فرض نفسه بالقوة على الأرض التى خضعت له ، وهل فى ذلك عيب ؟ إن الشمس تفرض نفسها على الأرض بقوتها ولا يضيرها أن يصاب بعض المتعرضين لها بضربات شمس قد تقضى عليهم ، وقد يشفون منها ، ولكنها فى كل الأحوال تسطع وتنفع الناس فى معيشتهم وإن كانوا لا يستطيعون النظر إليها ، لأنها ستأخذ أبصارهم التى لم تؤهل لهذا النظر ، وإنما خُلقت فقط لتنظر فى أثر الضوء وليس فى مصدره .

ورحم الله أديبنا الزيات الذى قال [٢] : « الإسلام دين القوة ، وهل فى ذلك شك ؟ شارعه الجبّار ذو القوة المتين ، ومبلّغه محمد الصبّار ذو العزيمة الأمين ، وكتابه هو القرآن الذى تحدى كل إنسان وأعجز ، ولسانه هو العربى الذى أخرس

---

(١) ديوان كشاجم بتحقيقنا ١٧٧ و ١٧٨ ضمن قصيدة طويلة ، وفيه تخريج الأبيات ، وهناك بعض اختلاف .

(٢) وحى الرسالة ١٣٩/٢

كل لسان وأبان ، وقواده الخالديون هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر ، وخلفاؤه العمريون هم الذين رفعوا عروشهم على نواصي الشرق والغرب ، فمن لم يكن قوى البأس ، قوى النفس ، قوى الإرادة ، قوى العدة ، كان مسلمًا من غير إسلام ، وعربيًا من غير عروبة » .

وقد عرضت على نفسى أن يكون العنوان « حلب والإسلام » ولكننى وجدت من نفسى إصرارًا على العنوان الذى ذكرته : لأن أحداث التاريخ تؤيده وتدفع النفس إلى الزيادة فى الإصرار والتمادى فيه ، يقول ابن الأثير [١] : « لما فرغ أبو عُبيدة من قنسرين سار إلى حلب ، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا ، فوجه إليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها ، وأصاب فيها بقرًا وغنمًا ، فقسم بعضه فى جيشه ، وجعل بقيته فى المغنم ، ووصل أبو عبيدة إلى حاضر حلب ، وهو قريب منها ، فجمع أصنافًا من العرب ، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك ، وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى ، فتحصّن أهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طَلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم ، فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ، وكان الذى صالحَهم عياض ، فأجاز أبو عبيدة ذلك ، وقيل : صولحوا على أن يقاسموا منازلهم وكنائسهم . وقيل إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدًا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية ، وراسلوا فى الصلح ، فلما تم ذلك رجعوا إليها » [٢] .

وعلى هذا فإنه يتساوى فى رأيى أن يكون أهلها قد صالحوا قادة الإسلام فى أول الأمر ، أو عادوا إلى حلب بعد الصلح ، فإن الأمر فى الحالين يبين أن هذه الأرض قد خضعت لحكم الإسلام ، أو أن الإسلام ضمها تحت لوائه ، ونشر عليها حمايته .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن « حلب » قد سيطرت عليها أمم كثيرة مختلفة من حيث اللغة والدين والعادات والدم ، يتمثلون فى الحيثيين والأشوريين والمصريين

---

(١) الكامل فى التاريخ ٩/٤٩٤

(٢) وجاء مثل هذا فى تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر ١٩٤/٤ ، ونهاية الأرب ١٦٥/١٩

والبيزنطيين والفرس والعرب ، ولكنها على الرغم من ذلك حافظت على أصولها مع ما اكتسبته من الأمم التى نزلت بها مما جعل لها مناعة خاصة تستطيع بها مواجهة الأحداث [١] .

لكن الذى يقرأ التاريخ الإسلامى يرى أن « حلب » كانت تضاف دائمًا إلى « قنسرين » وتعتبر جزءًا من أعمالها ، واستمر ذلك حتى آخر الدولة الأموية ، ثم حدث أن أخذت « حلب » تزدهر وتنمو و « قنسرين » تزوى وتتضاءل ؛ ثم انقلب الوضع فى أيام الدولة العباسية فأصبحت « قنسرين » تابعة لـ « حلب » وجزءًا من أعمالها [٢] .

وفى أيام قوة الدولة العباسية كانت « حلب » إحدى الولايات الإسلامية التى تدين بالولاء للخليفة العباسى فى بغداد ، ولما دب الضعف فى أوصال الدولة العباسية تأرجحت « حلب » فى ولائها ما بين الطولونيين تارة ، والإخشيديين تارة ثم الحمدانيين الذين جعلوا منها عاصمة لدولتهم .

* * *

(١) انظر سيف الدولة وعصر الحمدانيين ٥٤

(٢) انظر بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم ١٥/١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٢٣

٢ – قيام الدولة الحمدانية

تولى معاوية بن أبى سفيان حكم المسلمين بعد أن تنازل الحسن بن على عن بيعة الناس له ، حقنًا لدماء المسلمين ، وجمعًا لشتاتهم ، وقد أحس معاوية ومن بعده أن الناس لا يحبونهم ، ولكنهم يطمعون فى المال الذى فى خزائنهم ، فأظهروا لهم الحب ، وأضمروا لهم العداوة ، ويرهبون السيف الذى فى أيديهم فطأطأوا لهم الرءوس ، وأحنوا الهامات ، ولكنهم فى كل الحالات ينتظرون منهم غِرة لينقضوا عليهم ، ويزيلوا شأفتهم .

وقد استطاع معاوية ومَن بعده أن يعيدوا العرب إلى سابق عهدهم قبل الإسلام من عصبية قَبَلية مقيتة ، وعصبية للجنس العربى أشد مقتًا ، وذكر للثارات وأيام العرب مما يجعل كل قبيلة تنظر لنفسها دون غيرها ، بعد أن كان الإسلام قد صهر كل ذلك وأخرج منه المعدن النفيس للصورة البشرية الرفيعة التى تفخر بالإسلام وتدفع عنه ، وبعد أن سوى الإسلام بين الناس جميعًا لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ولا بين أبيضهم وأصفرهم وأحمرهم وأسودهم .

وكان من نتيجة تعصبهم للعرب دون غيرهم أن زرعوا بأيديهم البغض فى نفوس غير العرب ، ذلك البغض الذى تحوّل مع الأيام إلى نار أحرقتهم وذَرتهم للريح ، هذا على الرغم من أن غير العرب كانوا – كما سبق القول – يظهرون لهؤلاء القوم غير ما يضمرون ، ولم يكن البيت المروانى أقل تعصبًا للعروبة وإذكاءً لنارها من البيت السفيانى ، وبالتالى لم يكن الناس أقل عداوة لهم من معاوية ومن بعده .

وجدير بنا أن نسمع القصة التالية لنرى موقف غير العرب من هذا البيت الأموى ، يروى الأصفهانى أنه قد « استأذن إسماعيل بن يَسار النسائى على الغمر ابن يزيد بن عبد الملك يومًا ، فحَجَبه ساعة ثم أذن له ، فدخل يبكى ، فقال له الغمر : ما لك يا أبا فائد تبكى ؟ قال : وكيف لا أبكى وأنا على مروانيتى ومروانيتى أبى أُحْجَب عنك ! فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكى ، فما سكت حتى وصله الغمر بجُملة لها قَدْر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل فقال له : أخبرنى

ويلك يا إسماعيل ، أى مروانية كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغضنا إياهم ، امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قل : لا إله إلا الله ، فقال : لعن الله مروان ، تقربا بذلك إلى الله تعالى ، وإبدالا له من التوحيد ، وإقامة له مقامه » [(١)] .

ولم يكن هذا فقط هو السبب فى ظهور الشعوبية على اختلافها ، بل إنه يروى أن زياد ابن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى ألا تقر له العرب بذلك صنع كتاب « المثالب » وعدَّد نقائص العرب مما دفع الكثيرين إلى الكتابة فى مثل هذا الموضوع ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن ألّف كتابًا فى مثالب العرب بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب [(٢)] .

ولنستمع إلى بعض قول أبى عامر بن غرسية الذى أرسله إلى أبى عبد الله بن الحداد يعاتبه فيه ويفضل العجم على العرب وفيه يقول [(٣)] : « أُحسبك أزريت ، وبهذا الجبل البجيل ازدريت ، وما دريت أنهم الصّهب الشّهب ، ليسوا بعرب ذوى أينق جُرب ، أساورة ، أكاسرة ، مُجُدٌ ، نُجُدٌ ، بُهَمٌ [(٤)] ، لا رعاة شُويهات ولا بَهم ، شغلوا بالماذى والمران ، عن رعى البعران ، وبجلب العز عن حلب المعز ، جبابرة قياصرة ، ذوو المغافر والدروع ... » وفيه أيضًا يقول : « فلا تهاجر ، بنى هاجر ، أنتم أرقاؤنا وعبدتنا ، وعتقاؤنا وحفدتنا [(٥)] ، مننا عليكم بالعتق وأخرجناكم من ربق الرق ، وألحقناكم بالأحرار ، فغمطتم النعمة ، فصفعناكم صفعًا ، يشارك سفعًا ، اضطركم إلى سكنى الحجاز ، وألجأكم إلى ذات المجاز » .

وإذا كان هذا قد حدث فى بلاد الأندلس التى حكمها المروانيون ، فإن المشرق العربى كان أساس هذه الشعوبية ، وكان الحكم الأموى والمروانى دافعًا لها ، وقد سمع حُكّامهم مثل هذا من أحد هؤلاء الشعوبيين ، فقد جاء فى

---

(١) الأغانى ٤/١٠٤

(٢) انظر هامش البيان والتبيين ٣/٥ ، وتفسير روح المعانى ١٤٧/٢٦

(٣) نوادر المخطوطات : المجموعة الثالثة ص ٢٤٦

(٤) البهم بضم ففتح جمع بهمة وهو الفارس لا يدرى من أين يؤتى لشدة بأسه ، والبهم بالتحريك وبالفتح أيضًا جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الغنم .

(٥) الحفدة : الأعوان والخدمة ، واحدهم حافد .

الأغاني[١] » أن إسماعيل بن يسار دخل على هشام في خلافته وهو بالرصافة جالس على بركة له في قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحًا له ، فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم :

يَا رَبْعَ رَامَةَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ رِيَمِ   هَلْ تَرْجِعَنَّ إِذَا حَيَّيْتُ تَسْلِيمِي ؟ [٢]
مَا بَالُ حَيٍّ غَدَتْ بُزْلُ الْمَطِيِّ بِهِمْ   تَخْدِي لِغُرْبَتِهِمْ سَيْرًا بِتَقْحِيمِ [٣]
كَأَنَّنِي يَوْمَ سَارُوا شَارِبٌ سَلَبَتْ   فُؤَادَهُ قَهْوَةٌ مِنْ خَمْرِ دَارُومِ [٤]

حتى انتهى إلى قوله :

إِنِّي وَجَدِّكَ مَا عُودِي بِذِي خَوَرٍ   عِنْدَ الْحِفَاظِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومِ
أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ   وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومِ
أَحْمِي بِهِ مَجْدَ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ   مِنْ كُلِّ قَرْمٍ بِتَاجِ الْمُلْكِ مَعْمُومِ
جَحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلْجٍ مَرَازِبَةٍ   جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمِ [٥]
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ مَعًا   وَالْهُرْمُزَانِ لِفَخْرٍ أَوْ لِتَعْظِيمِ ؟
أُسْدُ الْكَتَائِبِ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ زَحَفُوا   وَهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ التُّرْكِ وَالرُّومِ
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْمَاذِيِّ سَابِغَةً   مَشْيَ الضَّرَاغِمَةِ الْأُسْدِ اللَّهَامِيمِ [٦]
هُنَاكَ إِنْ تَسْأَلِي تُنْبَيْ بِأَنَّ لَنَا   جُرْثُومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الْجَرَاثِيمِ [٧]

---

(١) الأغاني ٤٢٣/٤ هـ . وانظر أيضًا : ص ٤١١ من الجزء نفسه ففيه موازنة صريحة بين العرب والعجم .

(٢) رامة : منزل في طريق البصرة . وريم : واد لمزينة قرب المدينة .

(٣) بزل جمع بزول : وهي الناقة في تاسع سنيها . وتخدى : تسرع . والتقحيم : طي المنازل وعدم النزول بها .

(٤) داروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر .

(٥) الجحاجح جمع جحجح : وهو السيد الكريم . والمرازبة جمع مرزبان : وهو رئيس القوم .

(٦) الحلق جمع حلقة : وهي الدرع . والماذى : الدروع السهلة اللينة . واللهاميم جمع لهميم : وهو السابق الجواد من الخيل والناس .

(٧) الجرثومة : الأصل .

فغضب هشام وقال له : يا عاضّ بظر أُمه ! أعليّ تفخر وإياى تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك !! غطوه في الماء ، فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشرّ ونفاه من وقته ، فأخرج عن الرصافة منفيًّا إلى الحجاز » .

وهكذا نراهم قد أشعلوا نار العصبية ضد العرب ، وكانوا أول مَن احترق بها وتوارثت الأجيال بعدهم حرّها ولهيبها .

اجتثت نارُ العصبية دولةَ بنى أمية ، وأقام أصحاب هذه العصبية دولة بنى العباس ، ولم ينس العباسيون لهم هذا الفضل ، فأسندوا إليهم الكثير من الأعمال الكبيرة التى كان العرب يستأثرون بها دونهم فى دولة بنى أمية ، مما جعل الصراع يتحول فى هذه الدولة بين الجنس الفارسى الذى أصبح هو المسيطر ، والجنس العربى الذى أُبعد ، وكان أكبر مظهر من مظاهر هذا الصراع ما حدث من خلاف بين الأمين والمأمون وانتصار المأمون وقَتْل الأمين ، فقد نظر العرب على أنهم الذين قُتلوا وليس الأمين ، كما أن الفرس نظروا إلى أنهم هم الذين انتصروا وليس المأمون .

ولكن الذى يقرأ تاريخ الدولة العباسية يرى أنه قد ظهر فى تاريخها الطويل جماعات كثيرة من الطامعين فيها أو الطامعين فى أجزاء منها ، وكانت الدولة تتصرف مع هذه الجماعات على حسب ظروفها من حيث القوة أو الضعف ، ومن حيث قُربهم من يدها أو بُعدهم عنها ، ومن حيث استئصالهم أو مهادنتهم .

فالذى يقرأ الظروف التاريخية الأولى فى حياة الدولة العباسية يرى أن أحد المغامرين وهو أبو مسلم الخراسانى قد أحسّ من نفسه القوة ، فطلب من الخليفة أبى عبد الله السفاح أن يوليه إمارة الحج – وكان ذلك وقتها من الأعمال الدينية الكبرى التى لا يقوم بها إلا ذوو الشأن والنظر فى الدولة – فكتب السفاح إلى أخيه المنصور : إن أبا مسلم كتب إلىّ يستأذننى فى الحج ، وقد أذنتُ له ، وهو يريد منى أن أوليه الموسم ، فاكتب إلىّ تستأذننى فى الحج فآذن لك ، فإنك إن كنتَ بمكة لم يطمع أن يتقدمك . ففعل المنصور ما طلبه السفاح ، فحقد أبو مسلم على المنصور لاختياره هذا العام للحج ، ولكنه على الرغم من ذلك كان يتقدم على أبى جعفر ،

وقد استطاع أن يكسب طيب الأحدوثة لأنه كان يكسو الأعراب ويصلح الآبار والطريق ، ولما انتهى الموسم تقدّم أبو مسلم على أبي جعفر في الطريق ، فلما كان بالطريق أتاه خبر وفاة السفاح فكتب إلى أبي جعفر يعزيه في أخيه ولم يهنئه بالخلافة ، وبلغ به الأمر أن شتم أبا جعفر أمام رسوله الذى أرسله إلى أبي مسلم يسأله عن الأموال التي غنمها بعد قتال عبد الله بن علي ، وقال : أنا أمين على الدماء خائن في الأموال ! ولقد وصل به الأمر أن يقول في إحدى رسائله إلى المنصور : « إنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيمًا لحقك وأصفى نصيحة لك وحرصًا على ما يسرك مني » . ولقد أوصلته الدالة إلى أكثر من ذلك فقد طلب من المنصور أن يحبس عبد الجبار بن عبد الرحمن وهو قائد شرطة المنصور والسفاح قبله ، وصالح بن الهيثم وهو أخو أمير المؤمنين من الرضاعة ، وذلك بحجة أنهما يعيبانه ، فلما رفض المنصور هذا الطلب قال أبو مسلم : أراهما آثر عندك مني .

هذا وغيره كثير جعل المنصور يعقد العزم على التخلص من هذا المغامر العنيد ، ولما تم قتله قال المنصور :

اِشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا ... أَمَرَّ فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلْقَمِ
زَعَمْتَ أَنَّ الدَّيْنَ لَا يَقْتَضِي ... كَذَبْتَ فَاسْتَوْفِ أَبَا مُجْرِمِ [١]

وقد فعل الرشيد بالبرامكة [٢] ما فعله أبو جعفر بأبي مسلم ، وذلك لأن الدولة كانت قوية ، والمطلوب قتله في متناول يد الخليفة ، ويعتبر قتله من وجهة نظر الخليفة تأمينًا للدولة وتثبيتًا لأركان الحكم وتأكيدًا لهيبة الخليفة .

ولكن الرشيد نفسه لم يستطع أن يفعل الذى فعله مع البرامكة مع أحد المغامرين في غرب المملكة الإسلامية المترامية وهو إبراهيم بن الأغلب ، إذ من المعروف أن العباسيين قد ازدادت مخاوفهم ، لأن حكمهم في أفريقية بدأ يضعف

---

(١) انظر في هذه الحادثة تاريخ الطبري ، والكامل في التاريخ في أحداث عام ١٣٦ ، ١٣٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٣٨٨/٥ - ٣٩٢ . انظر البيان والتبيين ٣٦٧/٣ .

(٢) انظر في قتل البرامكة أحداث عام ١٨٧ في الطبري وابن الأثير ، وانظر تاريخ ابن خلدون ٤٧٢/٥

ويزداد في الضعف ، وبخاصة بعد موت الوالي العباسي القوى « يزيد بن حاتم المهلبي عام ١٨٠ هـ » [١] .

وقد زالت هذه المخاوف عندما ظهر « إبراهيم بن الأغلب » الذى استطاع أن يعيد للحكم العباسي هيبته في أفريقية ، وقد وصلت الجرأة بهذا الحاكم القوى أن يطلب من هارون الرشيد جعْل ولاية أفريقية له ، وقد وافق الرشيد ، وكتب إليه عهد الولاية [٢] .

فلما ضعفت الدولة العباسية بضعف خلفائها كثر المغامرون في شرق المملكة وغربها ، حتى أصبح الخلفاء أنفسهم تحت رحمة هؤلاء المغامرين ، وقد ترتب على هذا الضعف ظهور الدويلات الكثيرة ، وكان من هذه الدويلات دولة بنى حمدان .

ولا يظنن ظان أن في وصف آل حمدان بصفة المغامرين تجاوزًا أو اتهامًا بلا دليل ، هذا الظن إن وقع في بعض النفوس فإنما يرجع سببه إلى ما يعرفه الناس جميعا عن مواقف الحمدانيين من حروب الروم ، وإننى مع الناس جميعًا في إكبار مواقفهم في حروب الروم بل إننى لا أستطيع إلا أن أحنى رأسى لها إكبارًا وإجلالًا ، ولكننى أتحدث عن بداية آل حمدان . هذه البداية قد بدأت بظهور حمدان بن حمدون على مسرح الحياة السياسية في سنة ٢٥٤ هـ حين استعان به الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي لمحاربة مساور بن عبد الحميد الخارجي الذى كان قد استولى على أكثر أعمال الموصل ، وقوى أمره فيها .

وقد بدأ نجم حمدان بن حمدون يظهر منذ ذلك الوقت ، بل ويلمع في كثير من المعارك التى خاضها ، ومن قراءتنا في تاريخ معاركه لا نجده التزم خطًا واحدًا ، وإنما نراه اليوم يحارب في جانب ، ثم نراه غدا يحارب ضد هذا الجانب ، فالحرب

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٦/٣٢١

(٢) انظر الحلة السيراء ١/٩٣ وفي صفحات كثيرة منه ، و٢/٣٨١ ، والكامل في التاريخ حوادث عام ١٨٤ هـ . ٦/١٥٥

لم تكن حرب مبادىء ، ولكنها كانت - في نظرى - حرب منفعة ، فهو مع أتباعه يشبه ما يسمى في العصر الحديث باسم المرتزقة ، فحمدان بن حمدون مرة يحارب في صف محمد بن إسحاق بن كنداجق ، ومرة يحارب ضده ، ومع أننا نعرف أن الأسرة الحمدانية لها هوى شيعى إلا أننا نرى حمدان بن حمدون كان يحارب في جانب هارون الشارى الخارجى . أليس كل هذا دليلاً على أن هذا الرجل وأمثاله كانوا من المغامرين ؟ [١] .

لكن المعارك التى خاضها حمدان بن حمدون أثمرت ثمرتها فى عام (٢٩٣هـ) حين ولى المكتفى بالله أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون على الموصل فكانت هذه السنة بداية أول إمارة لبنى حمدان [٢] .

لكن نجم نجوم بني حمدان هو سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان بن حمدون ، وكان هذا الأمير فى أول أمره فى معية أخيه ناصر الدولة ، فمرة نراه فى الموصل ، وأخرى نراه فى واسط ، والمعارك الحربية التى انتدبه لها أخوه جعلته يقوى ويشتد عوده ، حتى طمع فى أن يستقل بإمارة يكون هو أميرها ، ولا يكون تابعًا ؛ وقد اتجه نظره إلى حلب فملكها واستولى عليها عام ٣٣٣ هـ ، وكانت فى تلك الفترة تحت حكم الإخشيديين ، ولم يستطع الإخشيديون الاحتفاظ بها ، وتوجه سيف الدولة بعد ذلك إلى حمص فملكها أيضًا ، وطمع سيف الدولة فى الحصول على دمشق ولكنه لم يستطع فتحها ؛ لأن أهلها منعوها منه ، وهكذا استقر أمر سيف الدولة فى حلب وما جاورها [٣] . واستمر فى حرب طاحنة بينه وبين الروم تارة ، وبينه وبين الخارجين عليه تارة أخرى حتى انتهى أجله عام ٣٥٦ هـ .

* * *

---

(١) لمن يريد قراءة التاريخ أحيله على الجزء السابع من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٨٨ ، ٢٧١، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ ، ٤١٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٧ ؛ ويراجع أيضًا تاريخ ابن خلدون المجلد الثالث ٧٤٨ ، ٨٧٩ ، والمجلد الرابع ٤٨٨ - ٥٤٥ ، وتاريخ الطبرى ج ٩ فى أحداث ٢٥٤؛ ج ١٠ فى أحداث ٢٧٢ ، ٢٨١

(٢) الكامل ٥٣٨/٧ ، تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٤٩٢

(٣) الكامل ٤٤٥/٨ ، وتاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٥٠٣

٣ - الحالة الاجتماعية وأثرها فى الحياة العامة

لا نستطيع أن نفصل هذا القرن عن القرن الثالث ، ولا أن نقول إن الصفات التى اتسم بها هذا العصر وليدة ساعتها ، وإنما الذى يجب أن يعرفه كل الناس أن هذا العصر امتداد للعصر السابق عليه .

والذى يقرأ كتب التاريخ يتضح له أن كل المصائب التى وقعت على العالم الإسلامى فى القرن الثالث كان لها سبب واحد وهو الإكثار من العبيد والإماء من جنسيات مختلفة ، واتخاذ الخلفاء الحرس من هؤلاء العبيد ، واتخاذ بعض الإماء سرارى قد أنجبن للخلفاء العرب من جلس مجلس الخلفاء فى القرن الثالث ، فكان كل خليفة يقرب من الحراس من يتناسب فى جنسه مع جنس أمه ، مما أوجد الكثير من التنافس بين الأجناس ، وليت الأمر استقر على التنافس فقط ، ولكنه وصل إلى الصراع على الاستئثار بالخليفة والهيمنة عليه .

ويروى لنا ابن الأثير السبب فى بناء مدينة « سامرا » فيقول [1] : « كان سبب ذلك أن المعتصم كان قد أكثر من الغلمان الأتراك ، فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلا ، وذلك أنهم كانوا جفاة يركبون الدواب ، فيركضونها إلى الشوارع ، فيصدمون الرجل والمرأة والصبى ، فيأخذهم الأبناء عن دوابهم ، ويضربونهم ، وربما هلك أحدهم فتأذى بهم الناس ثم إن المعتصم ركب يوم عيد فقام إليه شيخ ، فقال له : يا أبا إسحاق ، فأراد الجند ضربه ، فمنعهم ، وقال : يا شيخ مالك ، مالك ، قال : لا جزاك الله عن الجوار خيرًا ، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك ، فأسكنتهم بيننا ، فأيتمت صبياننا ، وأرملت بهم نسواننا ، وقتلت رجالنا ، والمعتصم يسمع ذلك ، فدخل منزله ، ولم ير راكبًا إلى مثل ذلك اليوم ، فخرج ، فصلى بالناس العيد ولم يدخل بغداد ، بل سار إلى ناحية القاطول ، ولم يرجع إلى بغداد » .

ولنا أن نتصور مقدار الخراب والاضطراب من تصارع العرب والفرس والأتراك

---

(١) الكامل فى التاريخ ٦/٤٥٢

على السلطة ، وذلك حين نقرأ أنه قد وصل الأمر إلى أن أصبح الخليفة مجرد رمز ، لا يستطيع أن يأمر فيطاع أمره ، بل لا يستطيع أن يحمى نفسه من هؤلاء الذين أتى بهم للحماية ، ولما أراد بعض الخلفاء كبْح جماح هؤلاء الأتراك - كما فعل الخليفة القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ) حين قتل مؤنسًا الخادم الذى كان سبب بلاء كثير للدولة - كان جزاؤه غير القتل ، فقد استحدث الأتراك شيئًا جديدًا هو سَمْل عينى الذى يريد بهم شرًا ، وقد أصبح سمل العينين شريعة الأتراك فى معاقبة الخلفاء ، فقد سمل « توزون » التركى عينى الخليفة المتقى (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) ، وسمل « أحمد بن بويه » الديلمى عينى الخليفة المستكفى « ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ » [(١)] .

وقد ترتب على هذا الاصطراع والاستهانة بالخلفاء أنه من تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت الأمور من يدها ، واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة ، فجبوا الأموال ، وكفوا يد الخليفة ، وقرروا له شيئًا يسيرًا ، وبلغة قاصرة ، ووهن يومئذ أمر الخلافة » [(٢)] .

وانقسمت الدولة الواحدة إلى عدة دُويلات متصارعة ، والخليفة حائر لا يدرى من أمر نفسه شيئًا ، فمرة ينحاز إلى جانب دون آخر ، ثم يعود فينحاز إلى الجانب الآخر علىحسب ما يقدم له من رشاوى أو تهديد [(٣)] .

ومن الطبيعى أنه إذا انهار النظام السياسى والأمنى فى أى دولة من الدول فإنه لابد أن ينهار النظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى .

وكانت الحرب المستعرة بين المغامرين وبعضهم ، وبين بعضهم والدولة الرومانية ، تستدعى أموالًا طائلة ، وكانت الأموال عادة لا تؤخذ من خزينة الدولة ، وإنما كان يؤخذ البعض من الخزينة ، والأعم الأغلب من الشعب ، إما عن طريق

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث المؤسفة يراجع الكامل جـ ٧ ، ٨ ، ومروج الذهب جـ ٤ ، والنجوم الزاهرة جـ ٣ ، وأخبار الراضى والمتقى لله [ضمن كتاب الأوراق] .

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ٢٣٥

(٣) تفصيل الحديث فى أمر هذه الدويلات فى تاريخ الطبرى جـ ١٠ ، وذيول تاريخ الطبرى ، والكامل فى التاريخ جـ ٨ ، والنجوم الزاهرة جـ ٣ ، والإسلام والحضارة العربية جـ ٢ ، والحضارة الإسلامية فى القرن الرابع جـ ١ ، وظهر الإسلام جـ ٢

الضرائب الباهظة ، وإما عن طريق المصادرات ، وقد أشارت كتب التاريخ إلى ذلك إشارات عابرة [١] ، أما الأدباء فإنهم لم يذكروا شيئًا من الظلم الذى وقع فى هذه الدويلات ، وإنما نجد منهم التمجيد لكل ما هو كائن ؛ وذلك لأنهم المنتفعون من كل ما يؤخذ ظلمًا من الناس ، فقد كان الأدباء هم وسيلة الإعلام فى تلك الفترة التى تظهر الباطل فى ثوب الحق ويلبسون على الناس أمور حياتهم .

ولم يكن أمر سيف الدولة بأهون من غيره فى ذلك ، فقد بلغ من ظلمه أنه أوقع الكثير من الظلم المتوالى على بنى حبيب النازلين بنصيبين ، وكانوا أبناء عمومته ، حتى اضطروا إلى أن يخرجوا بذراريهم ومواشيهم وثقلهم فى اثنى عشر ألف فارس بسلاح شاك من دروع وجوشن وسيف إلى بلاد الروم ، فتنصَّروا جميعًا ، ثم كانوا بعد ذلك حربًا شعواء على المسلمين لعلمهم بالمسالك وخبرتهم بالدروب ، وأغاروا على البلاد الإسلامية عدة مرات حتى وصلوا إلى نصيبين نفسها [٢] .

ولا أدل على هذا من أن أحد الذين لقبوا بلقب الدمستق فى بلاد الروم ، وكان حربًا على الإسلام والمسلمين هو الدمستق بن الشمشقيق وهو الذى يقول فيه ابن خلدون [٣] : « وهذا كان أبوه مسلمًا من أهل طرسوس يعرف بابن العفاش ، تنصَّر ولحق بالقسطنطينية ، ولم يزل يترقى فى الأطوار إلى أن نال من الملك ما ناله » .

هل كان من الممكن للأدباء والشعراء أن يثبتوا أن الحكم فى عهد سيف الدولة كان يقوم على الظلم والمصادرة ؟ إنهم لا يستطيعون ذلك ؛ لأن كل نعيمهم يأتى من هذا الظلم ، ويكفى فى هذا المجال أن أذكر هذا الخبر بنصه ، ثم لن أذكر أى تعليق عليه ؛ لأنه ناطق بكل شىء كان يحدث فى الدولة . يقول ابن الأثير [٤] : « فى هذه السنة (يقصد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة) فى شوال دخل أهل

---

(١) اقرأ المصادر التاريخية التى سبق ذكرها .

(٢) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين ٩٠

(٣) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٥٢٥

(٤) الكامل ٥٤٧/٨ والقصة رويت فى تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع ٥١٤ بأسلوب آخر .

طرسوس بلاد الروم غازين ، ودخلها أيضًا نجا غلام سيف الدولة بن حمدان من درب آخر ، ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه ، فإنه كان قد لحقه قبل ذلك بسنتين فالج ، فأقام على رأس درب من تلك الدروب فأوغل أهل طرسوس فى غزوتهم حتى وصلوا إلى قونية وعادوا فرجع سيف الدولة إلى حلب ، فلحقه فى الطريق غشية أُرجف عليه الناس بالموت ، فوثب هبة الله ابن أخيه ناصر الدولة بن حمدان بابن دنجا النصرانى فقتله ، وكان خصيصًا بسيف الدولة ، وإنما قتله لأنه كان يتعرض لغلام له فغار لذلك . ثم أفاق سيف الدولة ، فلما علم هبة الله أن عمه لم يمت هرب إلى حران ، فلما دخلها أظهر لأهلها أن عمه مات ، وطلب منهم اليمين على أن يكونوا سلمًا لمن سالَمه وحربا لمن حاربه ، فحلفوا له ، واستثنوا عمه فى اليمين ، فأرسل سيف الدولة غلامه (نجا) إلى حران فى طلب هبة الله ، فلما قاربها هرب هبة الله إلى أبيه بالموصل ، فنزل (نجا) على حران فى السابع والعشرين من شوال فخرج أهلها إليه من الغد فقبض عليهم ، وصادرهم على ألف ألف درهم ، ووكل بهم حتى أدوها فى خمسة أيام بعد الضرب الوجيع بحضرة عيالاتهم وأهليهم فأخرجوا أمتعتهم فباعوا كل ما يساوى دينارًا بدرهم ؛ لأن أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ليس فيهم من يشترى لأنهم مصادرون ، فاشترى ذلك أصحاب (نجا) بما أرادوا ، وافتقر أهل البلد ، وسار (نجا) إلى ميافارقين وترك حران شاغرة بغير والٍ ، فتسلّط العيارون على أهلها » .

فهل نطلب من أهل هذا البلد أو من أهل حلب أن يقفوا فى وجه الدمستق حين هجم عليهم واستولى على حلب عام ٣٥١ ؟ أعتقد أن أهل هذه الدويلة كانوا يقفون متفرجين فرحين فى ضمائرهم وهم يرون سيف الدولة يهرب أكثر من مرة أمام هجمات الروم .

وعلى الرغم من الفقر الشديد الذى كان يعيش فيه الأهالى فإننا نجد أمراء الحمدانيين ومَن يتقربون إليهم من الأجناد والأدباء يعيشون عيشة بذخ ورفاهية ، فمن المعروف أنه « قد أغرم بنو حمدان ببناء القصور الفخمة كما أغرم بذلك كثير من معاصريهم من الأغنياء فى حلب والموصل ، ولعل عدوى بناء القصور الفخمة التى تشبه الجنان بروعة بنائها ، وجمال تنسيقها وسحر بساتينها قد جاءت بنى حمدان عن طريق العباسيين ، فقد عاش بنو حمدان فى بغداد حقبًا طويلة لم

يكونوا خلالها بعيدين عن قصور الخلفاء ، بل لقد عرفوعها عن كثب ، واشترك بعضهم في الهجوم عليها عند عزل خليفة أو مطاردة قائد » [١] .

والخبر الآتي – على الرغم من طوله – يوضح ما كانت فيه الخلافة من ضياع وتفكك ، وما كانت فيه من تقتير في نواح وإسراف في نواح أخرى لا تمت بصلة للتقدم العمراني ، وإنما لتزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا وحقدا .

يروى المسعودى [٢] إنه لما أفضت الخلافة إلى المستكفى (٣٣٣ – ٣٣٤ هـ) جلس في بعض أيامه مع جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة ، فتذاكروا الخمر وأفعالها ، وما قال الأدباء فيها من شعر ونثر ، فقال بعض من حضر : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحدًا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر ، فإنه ذكر في بعض كتبه في الشراب ووصفه أنه ليس في العالم شيء واحد أخذ من أمهاته الأربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها إلا الخمرة ، فلها لون النار ، وهو أحسن الألوان ، ولُدُونة الهواء ، وهي ألين المجسات ، وعُذُوبة الماء ، وهي أطيب المذاقات ، وبَرْد الأرض ، وهي ألذ المشروبات ، وهذه الأربع وإن كن في جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر ، ولقد قلت في اجتماع هذه الصفات فيها :

لَسْتُ أَرَى كَالرَّاحِ فِي جَمْعِهَا ... لِأَرْبَـعٍ هُـنَّ قِـوَامُ الْـوَرَى
عُـذُوبَـةُ الْمَاءِ وَلِـينُ الْـهَـوَا ... وَسُخْنَةُ النَّارِ وَبَرْدُ الثَّرَى

ولقد أبدع أبو نواس في وصف الخمر وكان مما قاله فيها :

فَعَلَتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ ... مِثْلَ فِعْلِ الصُّبْحِ فِي الظُّلَمِ
فَاهْتَدَى سَارِي الظَّلَامِ بِهَا ... كَاهْتِدَاءِ السَّفْرِ بِالْعَلَمِ

وقال :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ ... يُقَبِّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوْكَبَا
تَرَى حَيْثُمَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا ... وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبَا

---

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ٨٦

(٢) مروج الذهب ٣٥٨/٤ بتصرف واختصار شديدين .

وقال :

عُتِّقَتْ فِي الدِّنَانِ حَتَّى اسْتَفَادَتْ ... نُورَ شَمْسِ الضُّحَى وَبَرْدَ الظَّلَامِ

وقال :

قَالَ : ابْغِنِى الْمِصْبَاحَ قُلْتُ لَهُ : اتَّئِدْ ... حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مِصْبَاحَا

فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً ... كَانَتْ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

فلما سمع المستكفى هذا القول وأمثاله مما أُلقى على مسامعه دخله سرور وطرب وأمر بالخمر ، ودعا إلى شربها ، وكان قد ترك شرب النبيذ حين أفضت إليه الخلافة .

فهل ينتظر ممن هذه حاله أن يقود أمة إلى الرقى ، أو أن ينقذها من البوار ؟ وإن الشيء الذى يصيب الإنسان بالدهشة أن الواحد من هؤلاء كان ينادَى بأمير المؤمنين ، ويلقب الألقاب العجيبة فمن المتقى لله ، ومن المستعين بالله ، ومن المطيع لله ، ومن المستكفى بالله ، وأشياء من هذا القبيل .

ولن تكون الرواية التالية أقل شأنًا من سابقتها ، وإنما لها شأن آخر ودلالة أخرى على مقدار التفسخ والعفن الذى أصاب الدولة ، ومقدار السفه الذى أصاب هؤلاء الخلفاء فى إنفاق الأموال على غير مستحقيها ، وإنما نثرها على المنافقين والمنادمين الذين يزينون لهم طرق الشيطان وطرق ضياع الدولة وأهلها .

يروى المسعودى أيضًا [(١)] أنه لما دخل أحمد بن بويه بغداد ، بعد موت توزون التركى ، لجأ إليه المستكفى فى الجانب الغربى ، وكان المطيع مختفيًا فى بغداد ، والمستكفى يطلبه أشد الطلب ، وقد أنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدرنا من الجانب الغربى ، وكان المستكفى خائفًا أشد الخوف أن يلى المطيع الخلافة فيحكم فيه بما يرى ، وكان لا يخفى خوفه هذا عن ندمائه ، وكانوا يهونون عليه الأمر ، ولما زاد به الخوف والضيق أراد أن يرفه عن نفسه فقال لأصحابه : قد اشتهيت أن نجتمع فى يوم كذا فنتذاكر أنواع الأطعمة ، وما قال الناس فيها من شعر ، فلما اجتمعوا فى الموعد المحدد قال أحد الجلوس : قد حضرنى يا أمير المؤمنين

---

(١) مروج الذهب ٣٦١/٤

أبيات لابن المعتز يصف سلة فيها سكارج كوامخ ، وألقى عليهم قصيدة طويلة فى هذا الموضع منها :

أَمْتِعْ بِسَلَّةِ قُضْبَانٍ أَتَتْكَ وَقَدْ حَفَّتْ جَوَانِبَهَا الْجَامَاتُ أَسْطَارُ
فِيهَا سَكَارِجُ أَنْوَاعٍ مُصَفَّفَةٌ حُمْرٌ وَصُفْرٌ وَمَا فِيهِنَّ إِنْكَارُ
فِيهِنَّ كَامِخُ طَرْخُونٍ مُبَوْهَرَةٌ وَكَامِخٌ أَحْمَرٌ فِيهَا وَكُبَّارُ
أَعْطَتْهُ شَمْسُ الضُّحَى لَوْنًا فَجَاءَ بِهِ كَأَنَّهُ مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ عَطَّارُ

إلى آخر القصيدة وكلها مليئة بالوصف لهذه الأصناف التى ذكرها ، فلما سمع المستكفى ذلك قال : تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف ، وهاتوا ، فلسنا نأكل اليوم إلا ما تصفون .

فقال آخر من جلسائه : يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى صفة سلة نوادر شعر رائق ، وذكر له قصيدة طويلة أيضًا ، منها :

مَتَى تَنْشَطُ لِلْأَكْلِ ؟ فَقَدْ أُصْلِحَتِ الْجُونَةْ (١)
وَقَدْ زَيَّنَهَا الطَّاهِي لَنَا أَحْسَنَ تَزْيِينَهْ
فَجَاءَتْ وَهْيَ مِنْ أَطْيَـ ـبِ مَا يُؤْكَلُ مَشْحُونَهْ
فَمِنْ جَدْيٍ شَوَيْنَاهُ وَعَصَّبْنَا مَصَارِينَهْ
وَنَضَّدْنَا عَلَيْهِ نَعْـ ـنَعَ الْبَقْلِ وَطَرْخُونَهْ (٢)

إلى آخر ما قال كشاجم ، فقال المستكفى : أحسنتَ ، وأحسن القائل ، وأمر بإحضار كل ما يجرى فى وصفه مما يمكن إحضاره ، ثم قال : هاتوا .

فقال ثالث : فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط شعر جليل القدر ، وذكر له قصيدة طويلة أيضًا منها :

يَا سَائِلِى عَنْ مَجْمَعِ اللَّذَّاتِ سَأَلْتَ عَنْهُ أَنْعَتَ النُّعَّاتِ
فَهَاكَ مَا أَنْشَأْتُهُ مِنْ قَصِّهِ مُسَلِّمًا مِنْ شَوْبِهِ وَنَقْصِهِ

---

(١) الجونه : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطارين .

(٢) الطرخون : بقل طيب يطبخ باللحم .

خُذْ يَا مُرِيدَ الْمَأْكَلِ اللَّذِيذِ جُوذَقَتَيْ خُبْزٍ مِنَ السَّمِيذِ
لَمْ تَرَ عَيْنَا نَاظِرٍ مِثْلَيْهِمَا فَقَشِّرِ الحَرْفَيْنِ عَنْ وَجْهَيْهِمَا

إلى آخر ما قال ابن الرومى .

وقال رابع من الجلوس : يا أمير المؤمنين ، لإسحاق الموصلى فى صفة سنبوسج شعر رائع ، وذكر له أبياتًا كثيرة منها :

يَا سَائِلِي عَنْ أَطْيَبِ الطَّعَامِ سَأَلْتَ عَنْهُ أَبْصَرَ الْأَنَامِ
اِعْمَدْ إِلَى اللَّحْمِ اللَّطِيفِ الأَحْمَرِ فَدُقَّهُ بِالشَّحْمِ غَيْرَ مُكْثِرِ
وَاطْرَحْ عَلَيْهِ بَصَلًا مُدَوَّرًا وَكُرُنْبًا رَطْبًا جَنِيًّا أَخْضَرَا
وَالْقِ السَّذَابَ بَعْدَهُ مُوَفَّرَا وَدَارَصِينِيٍّ ، وَكَفُّ كُزْبَرَا

إلى آخر ما قال الموصلى .

وقال خامس : يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى وصف هليون أبياتٌ طلية ، وذكر له أبياتًا كثيرة منها :

لَنَا رِمَاحٌ فِي أَعَالِيهَا أَوَدْ مُفَتَّلَاتُ الْجِسْمِ فَتْلًا كَالْمَسَدْ
مُسْتَحْسَنَاتٌ لَيْسَ فِيهَا مِنْ عُقَدْ لَهَا رُؤُوسٌ طَالِعَاتٌ فِي جَسَدْ
مَكْسُوَّةٌ مِنْ صَنْعَةِ الْفَرْدِ الصَّمَدْ مُنْتَصِبَاتٌ كَالْقِدَاحِ فِي الْعَمَدْ
ثَوْبٌ مِنَ السُّنْدُسِ مِنْ فَوْقِ بَرَدْ قَدْ أُشْرِبَتْ حُمْرَةً لَوْنَ خَدْ

إلى آخر ما وصف كشاجم ، فقال المستكفى : هذا مما يصعب وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد ، إلا أن نكتب إلى الإخشيد يحمل إلينا من ذلك البر من دمشق .

فقال سادس من جلسائه : يا أمير المؤمنين للحافظ الدمشقى فى صفة أرزية أبيات جيدة وهى :

لله دَرُّ أُرْزَةٍ وَافَى بِهَا طَاهٍ كَحُسْنِ الْبَدْرِ وَسْطَ سَمَاءِ
أَنْقَى مِنَ الثَّلْجِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهُ مِنْ صَنْعَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَنْدَاءِ
وَكَأَنَّهَا فِي صَحْفَةٍ مَقْدُودَةٍ بَيْضَاءَ مِثْلَ الدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ

بَهَرَتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ بِضَوْئِهَا ... وَتُرِيكَ ضَوْءَ الْبَدْرِ قَبْلَ مَسَاءِ
وَكَأَنَّ شُكَّرَهَا عَلَى أَكْنَافِهَا ... نُورٌ تَجَسَّدَ فَوْقَهَا بِضِيَاءِ

وقال سابع من الجلساء : يا أمير المؤمنين ، أنشدت قصيدة لبعض المتأخرين فى هريسة ، وذكر له القصيدة التى منها :

أَلَذُّ مَا يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ ... إِذَا أَتَى مِنْ صَيْفِهِ نَيْسَانُ
وَطَالَتِ الْجِدْيَانُ وَالْخِرْفَانُ ... هَرِيسَةٌ يَصْنَعُهَا النِّسْوَانُ
لَهُنَّ طِيبُ الْكَفِّ وَالْإِتْقَانُ ... يُجْمَعُ فِيهَا الطَّيْرُ وَالْحُمْلَانُ
وَتَلْتَقِى فِى قِدْرِهَا الْأَدْهَانُ ... وَاللَّحْمُ وَالْأَلْيَةُ وَالشُّحْمَانُ

حتى إذا أتى على آخرها قال آخر : يا أمير المؤمنين ، لبعض المتأخرين ، فى صفة المضيرة ، وذكر له ما قيل فى هذا الصنف ، ومنه :

إِنَّ الْمَضِيرَةَ فِى الطَّعَامِ ... كَالْبَدْرِ فِى لَيْلِ التَّمَامِ
إِشْرَاقُهَا فَوْقَ الْمَوَا ... ئِدِ كَالضِّيَاءِ عَلَى الظَّلَامِ
مِثْلَ الْهِلَالِ إِذَا بَدَا ... لِلنَّاسِ فِى خَلَلِ الْغَمَامِ
فِى صَحْفَةٍ مَمْلُوءَةٍ ... لِلنَّاسِ مِنْ جَزَعِ الْتِهَامِ

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين كشاجم شعر فى صفة جوذابة ، وذكر له الشعر الذى منه :

جُوذَابَةٌ مِنْ أُرُزٍ رَائِقٍ ... مَصْفَرَّةٌ فِى اللَّوْنِ كَالْعَاشِقِ
عَجِيبَةٌ مُشْرِقَةٌ لَوْنُهَا ... مِنْ كَفِّ طَاهٍ مُحْكَمٍ حَاذِقِ
نَسِيجُهُ كَالتِّبْرِ فِى حُمْرَةٍ ... وَزِدْيَةٍ مِنْ صَنْعَةِ الْخَالِقِ
بِسُكَّرِ الْأَهْوَازِ مَصْبُوغَةٌ ... فَطَعْمُهَا أَحْلَى مِنَ الرَّائِقِ
غَرِيقَةٌ فِى الدُّهْنِ رَجْرَاجَةٌ ... تَدُورُ بِالنَّفْخِ مِنَ الذَّائِقِ

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، عندى أبيات لبعض المحدَثين فى صفة جوذابة ، وذكر الأبيات ومنها :

وَجُوذَابَةٍ مِثْلِ لَوْنِ الْعَقِيقِ ... وفِي الطَّعْمِ عِنْدِي كَطَعْمِ الرَّحِيقِ
مِنَ السُّكَّرِ الْمَحْضِ مَعْمُولَةٌ ... وَمِنْ خَالِصِ الزَّعْفَرَانِ السَّحِيقِ
مُغْرَقَةٌ بِشُحُومِ الدَّجَاجِ ... وَبِالشَّحْمِ أَكْرِمْ بِهَا مِنْ غَرِيقِ

وقال آخر ، يا أمير المؤمنين ، عندى أبيات لكشاجم فى صفة القطائف وذكر الأبيات التى منها :

عِنْدِي لِأَصْحَابِي إِذَا اشْتَدَّ السَّغَبْ ... قَطَائِفٌ مِثْلُ أَضَابِيرِ الْكُتُبْ
كَأَنَّهُ إِذَا ابْتَدَا مِنَ الْكَثَبْ ... كَوَافِرُ النَّحْلِ بَيَاضًا قَدْ ثُقِبْ
قَدْ مَجَّ دُهْنَ اللَّوْزِ مِمَّا قَدْ شَرِبْ ... وَابْتَلَّ مِمَّا عَامَ فِيهِ وَرَسَبْ
وَجَاءَ مَاءُ الْوَرْدِ فِيهِ وَذَهَبْ ... فَهْيَ عَلَيْهِ حَبَبٌ فَوْقَ حَبَبْ

وهنا أقبل المستكفى على معلم كان يعلمه فى صباه ، طيب النفس ، وكان يضحك منه ويستظرفه ، فقال له : قد أنشدنا ما سمعت ، فأنشدنا أنت ، قال : لا أدرى ما قال هؤلاء ، وما أنشدوا ، غير أنى قد مضيت فى أمس يومنا هذا أدور حتى أتيت باطرنجا فرأيت رياضها فذكرت قول أبى نواس فيها ، فقال المستكفى : هات ما قال فيها ، فأنشده قصيدة طويلة منها [١] :

بَاطَرَنْجَا بِهَا ثَوَائِي وَلِي فِيـ ... ـهَا إِذَا دَارَتِ الْكُؤُوسُ اعْتِبَارُ
مِنْ حَدِيثِي أَنِّي مَرَرْتُ بِهَا يَوْ ... مًا وَقَلْبِي مِنَ الْهَوَى مُسْتَطَارُ
وَبِهَا نَرْجِسٌ يُنَادِي غُلَامِي ... قِفْ فَقَدْ أَدْرَكَتْ لَدَيْنَا الْعُقَارُ
وَتَغَنَّى الدُّرَّاجُ وَاسْتَمْطَرَ اللَّهْـ ... ـوِ وَجَادَتْ بِنَوْرِهَا الْأَزْهَارُ

إلى آخر القصيدة

ثم يقول راوى الخبر فى النهاية [٢] : « فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم ، وأجاز جميع مَن حضر من الجلساء والمغنين والملهين ، ثم أحضر ما حضره من عِين وَوَرِق مع ضيق الأمر إليه !!! ، فوالله ما رأيت له بعد

---

(١) لم أجد هذا فى ديوان أبى نواس .

(٢) مروج الذهب ٤/٣٧٠

ذلك يومًا مثله ، حتى قَبض عليه أحمد بن بويه الديلمى ، وسَمَل عينيه » .

الشيء العجيب حقًّا أن هذا الخليفة المرتعد من المطيع المختفى يعقد مثل هذا المجلس من مجموعة لا تقدر عواقب الأمور مثل الذى دعاهم إليه ، ثم لا يتذاكرون فى حالة التردى للدولة ، وإنما يتذاكرون فاخر الأطعمة وما قيل لها ، ثم يأمر ذلك الخليفة المأفون بإحضار كل صنف مما يذكر على ما يذكر !!! ، ثم فى النهاية يجيز جميع مَن حضر من ندمائه ومغنيه وملهيه .

إننى أعتقد أن مثل هذا الخليفة قد أحسن فيه المسيطرون عليه حينما سَمَلوا عينيه وتركوه عبرة للحياة والأحياء ، لأنهم إنْ قتلوه فقد أراحوه من عذابات كثيرة ، ولكنهم أحسنو صُنعًا . والحياة عِبر ، وكل حاكم يستبد بشعبه وبأمواله وينفقها فى ملذاته ومؤامراته يسلط الله عليه من داخل بلده أو من خارجه مَن يسمل عينيه ، أو من يسمل كرامته ويتركه أمثولة وأضحوكة حتى تلفظه الأيام ، أو تقذفه فى باطن الثرى ، فيختلط دمه بفضلات من بقى من شعبه ، ثم لا يجد التاريخ المنصف بُدًّا من أن يلصق عليه ، فالحجّاج مثلا لم يغفر له التاريخ إذلاله للشخصية الفردية المسلمة على الرغم من جهوده فى تجييش الجيوش واتساع الفتوحات على يده .

إن المسلمين قد ضاعت هَيبتهم منذ تركوا الشورى الحقيقية التى تأخذ بيد الحاكم إلى النهوض ببلده وشعبه ، وتأخذ على يده إن هو جَنَف عن الحق ، ومال إلى الباطل والأهواء الشيطانية ، إن الشورى الحقيقية هى التى تجعل الشعب كله يدًا واحدة فى مواجهة الأحداث الداخلية والخارجية ، لأنها تحافظ على حرية كل فرد ، وتحافظ على حقوقهم ، وتجعل أموال الدولة تصرف فى سبيل الدولة ، وليست تكون ملكًا للحاكم يتصرف فيها بسفه وجنون ، فقد رأينا حكامًا كثيرين يعطون الشاعر آلاف الدنانير على قصيدة مدح فى حين تكون الثغور فى حاجة إلى الحماية ، أو يكون الأفراد فى حاجة إلى الخدمات الكثيرة التى تجعلهم يشعرون بأنهم أهل لاستيطان البلد والدفاع عنه ، ولا يشعر الناس أبدًا بالسلبية فى كل شيء حتى فى الدفاع عن بلدهم إلا إذا كان الحاكم مستبدًا بكل الأمور يتصرف فيها كأنها إقطاع له ، وكأن الناس عَبيد له ، فى هذه الحالة وحدها لا يهب الناس للدفاع عندما يدهمهم أمر ، لأنهم يرون أن الكارثة يجب أن تنزل لتريحهم من

الحياة أو لتريحهم من الحاكم الظالم ، والقارىء فى التاريخ يجد مصداق ما أقول ، ففى حروب سيف الدولة الكثيرة نراه يهرب فى الكثير من المواقف مع مجموعة المغامرين الذين يتبعونه ، ويتركون البلد وأهله نهبًا لجيش الروم ، وحقًا إنه كان يعود إلى البلد مرة أخرى ولكن بعد أن يتركه نقفور أو الدمستق ، ولا يعود ليضمد جراح المجروحين وإنما ليصادر الأموال ويقتل الأنفس البريئة ليعيش هو وأسرته وعصاباته عيشة رغدة فى القصور الواسعة وبين أحضان الجوارى الروميات وعلى أنغام الموسيقى وفنون الرقص ودوران الرؤوس من آثار الكؤوس .

وإننى لا أتجنى على هذا القائد أو غيره ، فما كنتُ معهم ، وإنما أحكم عليهم من الكتابات التاريخية التى تسجل المخازى التى نحن فى امتدادها ولا نستطيع أن نتخلص منها لأن فئات المنتفعين ما تزال هى المسيطرة ولا يهمها أن تنخفض البلد أو ترتفع ، وإنما المهم ألا تنخفض أحوالهم أو تقل ثرواتهم .

ومَن أراد معرفة المزيد عن أحوال هؤلاء القوم فليرجع إلى كتب التاريخ ، فإنها تحدث بلسان صدق عن أحوال معايشهم ، ونظم تصرفاتهم ، وفى مروج الذهب حديث مستفيض عن أوائل مَن اتخذ آلات الطرب والفنون وعن فنون الإيقاع وغير ذلك ، وعن الواجب على مَن يحضر من الندمان وأصحاب المجالس [١] . ويعتبر كتاب أدب النديم طريقة من الطرق التى وضعت النظم التى يجب أن يكون عليها الندمان عند مخالطة الخلفاء والكبراء ، كما بيَّن مقدار تجاوزهم وانزلاقهم إلى ما حرَّم الله ، ولا أحاول أن أقدم شيئًا من الكتاب وإنما أدعه يقدم نفسه للقارىء .

* * *

---

(١) مروج الذهب ٢٢٠/٤ ٢٢٨

القسم الثانى

١ - كشاجم

اسمه ونسبه :

ليس هناك أى اختلاف عند الباحثين فى اسمه ، فجميعهم يذكرون أن اسمه « محمود » ، وأما اسم والده فإن كل الذين ترجموا للشاعر ذكروا أن اسم والده « الحسين » [١] ولم يخالف عن هذا الرأى إلا السيوطى الذى ذكر أن اسم الشاعر « محمود بن محمد بن الحسين بن السدى (كذا) ابن شاهك ، يكنى أبا نصر » [٢] (كذا) ، فقد خالف في اسم أبيه ، وفى كنية الشاعر ، ولم أجد هذا لغيره ، ولا أدرى من أين جاء السيوطى بهذا الاسم لأبيه ، وبهذه الكنية للشاعر !! .

والأعجب من هذا أن نرى الزركلى يؤيد ما ذكره السيوطى فيقول [٣] « ويرجح هذه التسمية أن جده السندى بن شاهك كان صاحب الشرطة فى عهد الرشيد العباسى ، ووفاة الرشيد سنة ١٩٣ هـ ، فلابد من أبوين على الأقل لملء المدة بين صاحب الترجمة والسندى » . وأعجب العجب أن الدكتور شوقى ضيف ذكر فى ترجمته أنه محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك [٤] . فيكون بذلك قد اتبع السيوطى ومن بعده الزركلى ، دون سند أو حجة تؤيد رأيه .

ولا خلاف أيضاً فى أن الشاعر ينتهى نسبه إلى جده الأكبر « السندى بن شاهك » الذى كان أحد أتباع الرشيد ، فقد كان يلى الجسرين ببغداد فى عهده [٥] ، كما كان من خاصة المنصور قبله [٦] .

---

(١) انظر الفهرست ١٥٤ وفوات الوفيات ٩٩/٤ ، وشذرات الذهب ٣٧/٣

(٢) انظر حسن المحاضرة ٥٦٠/١

(٣) الأعلام ١٦٧/٧ ، ١٦٨ فى الأصل والهامش .

(٤) تاريخ الأدب العربى - عصر الدول والإمارات ٦٧٣/٦

(٥) الوزراء والكتاب ٢٣٦

(٦) البيان والتبيين ٣٢٨/٢ و ٣٢٩

ويبدو لى أن الأوفق فى اسم هذا الشاعر هو « محمود بن الحسين بن إبراهيم ابن السندى بن شاهك » وأزعم أن هذا هو الصحيح لسببين :

الأول : لأن السندى بن شاهك لم يكن له إلا ابنان فقط هما : نصر وإبراهيم ، وكان إبراهيم هذا أحد رواة الأدب الذين أخذ عنهم الجاحظ ، وكان يوثقه فى أغلب ما يرويه عنه لعلمه وفضله ، ولنستمع إلى الجاحظ وهو يتحدث عن خطباء بنى هاشم فيقول [١] : « ومن هؤلاء عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر ، هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة ، وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

وكان إبراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى ، فإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور .

وكان عبد الله بن على ، وداود بن على يعدلان بأمة من الأمم .

ومن مواليهم : إبراهيم ونصر ابنا السندى ، فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبى ، والهيثم بن عدى ، وأما إبراهيم فإنه كان رجلا لا نظير له ، كان خطيبًا ، وكان ناسبًا ، وكان فقيهًا ، وكان نحويًّا عَروضيًّا ، وحافظًا للحديث ، راوية للشعر شاعرًا ، وكان فخم الألفاظ شريف المعانى ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زادان فروخ الأعور ، وكان منجمًا طبيبًا ، وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالمًا بالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نومًا ، وأصبرهم على السهر » .

ومادام إبراهيم بهذه الصورة التى رسمها الجاحظ فلا أقل من أن يكون الجد الأول لشاعرنا الذى جمع هو أيضًا أنواع العلوم والمعارف فى عصره كما سيتضح لنا عند الحديث عن لقبه الذى لقب نفسه به .

وقد يقول قائل : ولم لا يكون نصر بن السندى بن شاهك هو الجد الأول لشاعرنا ؟ والجواب أن ما قاله الجاحظ عن نصر لا يجعله جَدًّا لمثل شاعرنا ،

---

(١) البيان والتبيين ١/٣٥٥

ولا أدل على ذلك من أننى لم أجد لنصر ذكرًا فى البيان والتبيين إلا فى المرة التى ذكرتها آنفًا ، ولم أجده البتة في الحيوان أو غيره من كتب الجاحظ : وذلك لأن فهمه وعلمه مقصوران على ناحية معينة ذكرها الحاجظ ، وقد ذكر شاعرنا « نصرًا » فى شعره حين يقول فى مدح الرشيدى [1] :

يَا ابْنَ مَوْلَى أَبِى نَصْرِ السِّنْـ ـدِىِّ رُكْـنِ الْخِلَافَةِ الْمَشْـدُودِ

بخلاف إبراهيم الذى كان دائرة معارف ، وهذا هو الذى جعل الجاحظ يعجب به ويوثقه ، ويروى عنه ، وقد اتضح أثر إبراهيم فى شاعرنا الذى كان دائرة معارف أيضًا .

وما دمنا قد عرفنا أن « السندى بن شاهك » لم ينجب إلا « إبراهيم » و « نصرا » فإنه من الطبيعى أن يكون إبراهيم الجد الأول لشاعرنا ، ويكون « الحسين » أباه .

الثانى : لأنه – كما يقول الزركلى – لابد أن يكون بين شاعرنا وجَده الأكبر « السندى » أبوان ، فكان لابد من أن يكون إبراهيم هو الجد الأول ، وأن يكون « الحسين » أباه ؛ وذلك لعدم اختلاف المصادر فى اسم أبيه « الحسين » .

لكننى لم أجد فى هذه المصادر شيئًا عن والد الشاعر الذى أجمعت على أنه « الحسين » ، والذى تقتصر عليه كثير من المصادر دون باقى اسمه ، فهى تذكره باسم « محمود بن الحسين كشاجم » [2] ، وليس من المعقول – كما سبق – أن يكون جده الأول « السندى » لكن عندنا مَن يخبرنا بأكثر من رواية عن إبراهيم بن السندى الذى يجب أن يكون بعد اسم « الحسين » ، فقد روى عنه الجاحظ علمًا وأدبًا كثيرًا فى عشرة مواضع فى البيان والتبيين ، وفى سبعة مواضع فى الحيوان ، وفى أربعة مواضع فى البخلاء ورسائل الجاحظ .

أعود فأقول : إن هذه الأسرة كانت تتمتع بمراتب عليا فى الدولة العباسية ،

---

(١) ديوان كشاجم ١١٣

(٢) مروج الذهب ٣٦٣/٤ و ٣٦٨ و ٣٦٩ ، وشذرات الذهب ٣٧/٣ ، وفوات الوفيات ٩٩/٤ ، والفهرست ١٥٤

فقد كان مؤسس الأسرة « السندى بن شاهك » - كما سبق - من خاصة المنصور ، وولى الجسرين فى عهد هارون الرشيد ، ثم كان من خاصة الأمين إلى أن قُتل ، ويبدو أن « السندى بن شاهك » كان يتمتع بخط جميل ، يتضح هذا من قول شاعرنا فى مدح الرشيدى حين يستجديه [١] .

وَدَوَاتِى تَشْكُو الْفَرَاغَ وَأَقْلَا ... مِى ظِمَاءٌ حَوَائِمٌ لِلْوُرُودِ
وَهْىَ لَوْ أُعْمِلَتْ جَرَتْ لِشَبِيهٍ ... كَشَبِيبِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْبُرُودِ
فِى سُطُورٍ أَعَارَهَا جَدُّىَ السِّنْـ ... ـدِىُّ مِنْ نَقْشِ نَقْشِهِ فِى النُّقُودِ

ويتضح لنا من بعض الروايات أن « إبراهيم بن السندى » كان واليًا على الكوفة ، فقد نقل ابن قتيبة عن الجاحظ خبرًا قال فيه [٢] : « عمرو بن بحر عن إبراهيم السندى قال : قلتُ فى أيام ولايتى الكوفة لرجل من وجوهها ، كان لا يجف لبده ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان رجلًا مفوهًا : خبرنى عن الشيء الذى هَوَّنَ عليك النصب ، وقواك على التعب ما هو ؟ قال : قد والله سمعتُ تغريد الطير بالأسحار فى أفنان الأشجار ، وسمعت خَفْق أوتار العيدان ، وترجيع أصوات القيان الحِسَان ، ما طربتُ من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ، ومن شكر حر لمنعم حر ، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر ، قال إبراهيم : فقلت : لله أبوك ! لقد حشيت كرمًا ، فزادك الله كرمًا » .

وكان إبراهيم هذا أحد أصفياء المأمون ، يتضح هذا من قول الجاحظ [٣] :

« وحدثنى إبراهيم بن السندى قال : بينا الحسن اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرقة يحدِّث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال اللؤلؤى : نمتَ أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينيه وقال : سوقى والله ، خذ يا غلام بيده » .

وليس من غرضى أن أستقصى أخبار هذا الرجل ، ولكننى قصدت فقط أن أدلل

---

(١) ديوان كشاجم ١١٤

(٢) عيون الأخبار ١٢١/٣

(٣) البيان والتبيين ٣٣٠/٢ و ٣٧٨/٣ ، وانظر الخبر فى المحاضرات ١٨٧/١/١

على مكانته الاجتماعية والأدبية والفكرية ، ولأدلل على رأى رأيته فى اتصال شاعرنا به ، وأما الزيادة فى أخبار الرجل فقد أشرتُ إلى مواضعها وعددها فى كل موضع .

وفى مجموع ما قرأت من الكتب التى تحدثت عن الشاعر وجدت أنها تكتنيه « أبا الفَتح » [١] ، ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا حُسن المحاضرة الذى كناه « أبا نصر » [٢] ، ولم أدر من أين جاء السيوطى بما قال فى اسم الشاعر وكنيته !! .

وقد تحدثت كتب التراجم عن أن الشاعر لقب نفسه بلقب « كشاجم » [٣] ، وبه صار يُعرف ، حتى غَلب على اسمه الحقيقى ، شأن جميع الشعراء الذين لا يُعرفون إلا بألقابهم ، ولما سئل « كشاجم » عن سر هذا اللقب قال : الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد أو من الجدل ، والميم من منجم أو من المنطق .

وقد ذكر ابن العماد أنه قد مَهَر فى الطب حتى صار أكبر علمه ، فزيد فى اسمه (يقصد لقبه) طاء من طبيب ، وقدمت فقيل : « طكشاجم » ، ولكنه لم يشتهر [٤] ، ولكن ابن شاكر الكتبى يقول [٥] : « وقال بعضهم : كشاجم طخ » وزاد الطاء من طباخ ، والخاء من خراء » !! ، ومن هذه الطاء على رأى ابن العماد يفسر ما يقوله بعض الباحثين من أنه كان يشرف على إعداد طعام سيف الدولة ، فالإشراف بهذه المثابة يجعله طبيبًا لا طباخًا ، وإن كان هذا لا يمنع أن يكون طباخًا ، وذلك لما تمتع به من مواهب متنوعة .

ويكفى لمعرفة مكانة هذا الرجل من حيث العلم والأدب أنه ثقة يؤخذ عنه ، وتروى الأحداث عن روايته وأخباره ، والمسعودى صاحب مروج الذهب ، وهو من هو فى مكانته فى علمه وفضله يروى عنه ويوثقه ، فيقول مثلا فى بعض ما قال فى

---

(١) انظر جميع المصادر التى ذكرتها سابقا مما له صلة بترجمة الشاعر .

(٢) انظر حسن المحاضرة ٥٦٠/١

(٣) كل المصادر ضبطته بضم الكاف ، ولكن صاحب تثقيف اللسان ١٣٨ يقول : الصواب فتح الكاف ، وكذلك فعل صاحب تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ٤٤١

(٤) شذرات الذهب ٣٨/٣ وانظر تثقيف اللسان ١٣٨ وتصحيح التصحيف ٤٤١ و ٤٤٢

(٥) فوات الوفيات ٩١/٤ وانظر المصادر السابقة .

مروج الذهب [١] : « وأخبرني أبو الفتح محمود بن الحسين السندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم ، وكان من أهل العلم والرواية ، والمعرفة والأدب ... » إلى آخر ما ذكر ، وقد تكرر منه ذلك مما يبين مكانة كشاجم العلمية والأدبية ، حتى أصبح موثوقًا به في نواحي العلم المختلفة ، وليس هذا بغريب على من جمع وفهم ثقافة عصره واستوعبها .

* * *

(١) مروج الذهب ٣٢٧/٤

٢ - هذا الكتاب

هذا أحد كتب كشاجم التى وصلت إلينا ضمن ما وصل من تراثنا الذى عَدَت عليه أحداث وأحداث ، وهو كتاب صغير الحجم حقًّا إلا أنه عظيم الفائدة ، فالكتب - كالأشخاص - لا تقاس بالحجم ، وإنما تقاس بما يعود منها على دنيا الناس ، فكم من الكتب والأشخاص مَن يتمتع بحجم كبير ولكن فائدته تكون قليلة ، أو تكاد تكون معدومة ، وكان أحد أساتذتنا رحمه الله يقول إذا رأى أستاذا معينا حباه الله جسما ضخما : هذا رجل أعطاه الله بسطة فى الجسم ، ويسكت ، يعنى : لا فائدة منه فى العلم .

ومن المعروف أن القرنين الرابع والخامس الهجريين كانا من العصور الزاهرة فى تاريخ الفكر والثقافة ، ومازلنا حتى الآن نفخر بما جاءنا من تراث هذين العصرين على الرغم مما كان فى هذين العصرين من مآسٍ سبق ذكر بعض منها ، ولكن العلماء وجهوا وجهتهم نحو العلم بجميع فروعه يثرونه ، ويقدمون فيه الجديد والمفيد دائمًا ، حتى لقد أصبحت القرون التالية تعيش على مائدة هذين العصرين .

ولم نجد فرعًا من فروع العلم والثقافة لم يطرقه الباحثون ، فهناك البحوث اللغوية والأدبية والفقهية وعلوم القرآن والحديث والعلوم الفلسفية وغير ذلك ، ولكن لم نجد كتابًا يتخصص فى اتجاه كتاب أدب النديم .

إن كتاب أدب النديم يمكن أن نطلق عليه أدب السلوك العام ، وهو قد تخصص فى هذه الناحية ، وبيّن للإنسان ما يجب عليه فى سلوكه عند المنادمة ، ولقاء الأصحاب والكبراء ، ومجالستهم ، والتحدث معهم ، وما قد يتطلبه الجلوس من مشاركة فى الطعام والشراب والمناقشة ، كما وضّح للإنسان أيضًا ما يجب أن يبتعد عنه عند هذه المواقف .

حقا إن الحديث عن السلوك العام ليس جديدًا ، فإن الكتب القديمة ذكرت نُتفًا متفرقة فى صفحات كثيرة منها ، والقارىء فى هذه الكتب يرى أن هذه الآداب تأتى متفرقة بين ثنايا هذه الكتب ، ولا تأتى إلّا فى مناسبة خاصة بها ، والذى يقرأ فى البيان والتبيين للجاحظ ، أو فى عيون الأخبار لابن قتيبة يجد مصداق ما أقول .

إنما الجديد في هذا الكتاب - رغم صغر حجمه - أنه أتى لنا بهذه الآداب بين دفتيه ، وتحت عنوانات محددة ، بحيث يصبح القارىء مُلمًّا بموضوع الكتاب كله ، أو مُلمًّا بآداب السلوك كلها عن طريقه دفعة واحدة ، بخلاف الكتب القديمة السابقة التى جعلت هذه الآداب متناثرة هنا وهناك ، مما يتسبب فى عدم إلمام القارىء بها كلها أو بعضها ، أو على الأقل قد تشتت ذهنه فى سبيل الحصول عليها أو على بعضها .

وقد اعترف كشاجم بأن العلماء الأولين كان لهم فضل الريادة فى هذا الموضوع من حيث إنهم أتوا يبعض هذا الآداب فى كتبهم ، ولكنه هو يكون له فضل السبق والتفوق فى ضم هذه الآداب فى كتاب واحد .

ولم يقتصر عمل كشاجم فى هذا الكتاب على جمع الآداب الخاصة بالنديم من الكتب ، وإن كان هذا فى حد ذاته عملاً شاقًا ، ولكنه أضاف إلى ذلك ما استجد من آداب ، أو ما رأى هو من أدب يجب أن يتحلى به النديم ، أو يبتعد عنه ، وليس هذا بغريب على مَن عاش فى بلاط سيف الدولة ، ورأى فى تلك الفترة المزدهرة من حياة الحكام شيئًا عظيمًا ، مما كان يتنبه إليه بحكم تلك المعايشة ، أو مما يلقى فى مجلس سيف الدولة من أقوال تؤدى إلى بعض هذه الآداب ، أو ترسم لها طريقًا .

ولم يكتف كشاجم بأن يورد لنا الرسوم والنظم التى توضح أدب السلوك ، وإنما أتى فى أثناء ذلك بما يؤيد هذه النظم ويدعمها من أقوال للشعراء وحِكم للحُكماء ، ومواقف للظرفاء ، بحيث أصبح الكتاب بحق يغذى الفكر والعاطفة فى آنٍ واحد ، أو أن يدخل إلى العقل المجرد عن طريق القلب ، فإن الرسوم والنظم كالقواعد العامة تكون جافة ممجوجة ، ولكنها تجد طريقها إلى القَبول بما يلقى فى طريقها من أشعار محكمة ، ونثر جميل ، وحِكمة رصينة ، وحديث شريف ، بحيث لا يجد العقل طريقًا للرفض ، أو على الأقل لا يجد طريقًا للملل ؛ لأن الأشعار والمنثور من القول والحِكمة والحديث تعين على تأكيد فكرة من أفكار أدب السلوك ، وفى الوقت ذاته تبعد الجفاف عن هذه الأفكار لو أنها عُرِضت مجردة دون تأييد وتجميل بما يساق من شعر ونثر .

يبّين كشاجم كل ذلك فى منهجه فى المقدمة حين قال : « فإنى وجدتُ من

تقدم من العلماء ، وعنى بتأليف الكتب من الأدباء ، قد جردوا بذكر الشراب كتبًا ضمنوها من نعوت أصنافه ، وأوصافه محرمه ومحلّله ، وتبيين خصاله ولطائفه ، وحدود منافعه ومضاره ، وضروب ملاذه ومساره ، ما استغرقوا فيه المعنى ، واستوفوا به المدى ، وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره ، والتنبيه على منزلته وموقعه ، وإفراده من القول بما يبين عن فضله ، ويدل على محله ، إلا في جُمل أدرجوها ، ولم يبسطوها ، ولُمَع في أطراف الكتب فرّقوها ، ولم يؤلّفوها ، فأحببتُ أن أجرد في ذلك كتابًا أفصله وأبوبه ، وأوفّى كل معنى فيه حقه ، وأضم إلى كل شكل شكله ، وأجمع إلى ما تستنبطه القريحة أحسن ما وجدته في هذا المعنى متفرقًا في أمثال الحُكماء ، ومَنْظوم الشعراء ، ومَنْثور البُلغاء ، وأخبار الظرفاء ، وأودعه من أدب النديم ما لا يستغني عنه شريف ، ولا يجوز أن يخل به ظريف ؛ ليكون منهجًا واضحًا لمن نظر فيه ، وإمامًا يقتدى به مَن وقع إليه » .

ويتضح من هذا أن للسابقين عليه بعض الفضل في الحديث عن بعض آداب السلوك ، وإن كانت جاءت متفرقة متباعدة في كتبهم ، أما هو فيكون له الفضل الأكبر في إفراد كتاب مستقل لهذه الآداب ، يجمع بين أدب السلوك والمعايشة ، وبين أدب القول من شعر ونثر .

كما يتضح – وهذه ميزة كبرى لكشاجم – أن منهج الكتاب يخالف عما كان مألوفًا في عصره من مناهج الكتب ، أو المؤلّفات ، وهذه تكون ناحية إبداعية تُحسب له ، ويمكن إرجاعها – كما سبق أن أوضحت – إلى معايشته وخدمته في بلاط سيف الدولة ، ثم إلى ما منحه الله من عين تلتقط ما تقع عليه ، وتنسقه في الموضع اللائق به ، وإلى عقل سليم يضع النظير إلى نظيره ، وإلى عاطفة رقيقة شاعرة تقبل ما يمكن قَبوله ، وترفض ما يجب رفضه .

ولم ينس كشاجم شاعريته في هذا الكتاب ، فهو يذكر لنا من أشعاره الشيء الكثير بجوار ما قيل في الموضوع من أشعار لشعراء آخرين ، وقد يكون شعره في مجال لم يذكر فيه شعر لأحد السابقين عليه .

وقد أتى الكتاب في ثلاثة عشر بابًا موزعة كالآتى :

الأول : باب مدح النديم وذكر فضائله وذم المتفرد بشرب النبيذ .

وفيه يتحدث عن سبب تسمية النديم بهذا الاسم ، وتوضيح مكانته ، ثم ذكر ما قيل فى النبيذ والخمر ، وذكر مجموعة ممن اشتهروا بمعاقرة الخمر ثم حرّموها على أنفسهم ، سواء فى الجاهلية أو الإسلام .

الثانى : باب أخلاق النديم وصفاته .

وفيه يبين أن نديم الملوك لابد أن يكون على صفات خاصة به ؛ حتى لا يمله الملك ، أو يسقط من عينه ، وسيرى القارىء أن فى هذا الباب أشياء لا يمكن للنفس السوية قَبولها ؛ لأنها تدخل فى مجال النفاق .

الثالث : باب التداعى للمنادمة .

ويتحدث فيه عما يجب على المضيف نحو ضيفه ، وأنه لا يصح أن يتكلّف فوق طاقته ؛ لأنه إن فعل ذلك يدخل فى مجال تصنع الكرم .

الرابع : باب الشَّرب وكثرتهم وقلتهم .

ويتحدث فيه عن ميزة اجتماع الأصحاب على الشراب ، ثم يوازن بين الأعداد كَثرة وقِلّة ، ويبين أفضلها .

الخامس : باب السماع .

وفيه يتحدث عن واجب النديم عند استماع الغناء ، ويبين مكانة الغناء من النفس البشرية ، كما يوضح أنه لا مجال عند الاستماع إلى تصحيح القول أو النغم .

السادس : باب المحادثة .

وفيه يبين أن النديم لا يكون نديمًا إلا إذا حسنت محادثته ، ودقّ فهمه ، وقَصُر حديثه ، واتسع مجال هذا الحديث رغم إيجازه .

السابع : باب غسل اليد .

وفيه يتحدث عن آداب غسل اليد قبل الأكل وبعده ، ويفضل فى هذا المجال الاستتار عند الغسل لما فى ذلك من الأذى ، أو ما يثير التقزز .

الثامن : باب إدارة الكأس .

وقد بيَّن فيه أن الإسلام أقر المبدأ الجاهلى ، وهو أن الشراب يجب أن يقدم إلى مَن فى اليمين أولًا حتى وإن كان أقل شأنًا من غيره .

التاسع : باب الإكثار والإقلال .

وفيه يتحدث عما يجب الابتداء به من الشراب ، ويبين أنه لا يجب أن يجبر النديم على الشرب ، ويوضح أنه إذا سكر النديم فلا لوم عليه إذا كان مكروهًا على الشرب ، ويبين سُوء عاقبة أولئك الذين يديمون السكر ، ويهملون أمور حياتهم .

العاشر : باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ .

وفيه يبين أنه لا يصح من النديم أن يطلب من منادمه قضاء حاجة له في حالة الشرب ، لأن ذلك يدخل في مجال انتهاز فرص السُكر ، أما إذا كان يطلب لغيره فلا بأس ، وإن كان التأخير أفضل .

الحادى عشر : باب هيئة النديم وما يلزمه .

وفيه يتحدث عما يجب أن يلتزم به النديم من زى وهيئة ، وأن يحافظ على نظافة جسمه ، ويبين أنه لا يصح للنديم أن يستغل فرصة منادمته للكبراء فيرفع الكُلفة بينه وبينهم ؛ لأن هذا يسقطه من عيونهم ، ويبين أن نديم الحكام لابد أن يتوقع الإيقاع به .

الثانى عشر : باب ما يلزم الرئيس لنديمه .

وفيه يوضح أن الرئيس يجب أن يحافظ على كرامة نديمه ، وأن يكرمه ، ويرفع من شأنه ، وألا يمتهنه بما يسقط مكانته من عيون الآخرين .

الثالث عشر : باب الأدب فى الشطرنج .

وفيه يتحدث عن الأدب الذى يجب اتباعه في أثناء اللعب ، وبخاصة لأن المدة قد تطول بين اللاعبين ، ثم يبين أن هذه اللعبة تحتاج إلى رَوِية وهدوء ؛ لئلا يسقط اللاعب فى مَهاوى هذه اللعبة .

وقد ساق كشاجم كل هذه الأبواب فى أسلوب أدبى رفيع مزين بالشعر الجيد المفيد ، والنثر الأدبى العالى القدر .

* * *

٣ – نسبة الكتاب واسمه

إن هذا الكتاب يدل دلالة قوية على ثقافة كشاجم ، وعلى معرفته بالنظم والتقاليد التي استُحدثت في مجالات الحياة العامة ، بعد أن مُصّرت الأمصار ، وفُتحت الأرض ، واتسع العمران .

ويجمع الكتاب بين دفتيه ما يمكن أن يسمى بنظم اللقاء ، وآداب الجلوس ، وآداب الطعام والشراب ، وآداب الكلام ، وما إلى ذلك ، أو ما يسمى فى النظم الحديثة بـ « البروتوكول » .

وهذا الكتاب يدل أيضًا على مقدار صلة كشاجم بعلية القوم ، ومعرفته بما يجب فى معاملاتهم ، وقد ورث هذا الأمر عن أبيه وجده ، وقد ذكر كشاجم فى كل مناسبة ما يوافقها من أقوال مأثورة ، وأشعار رائعة مما جعل هذا الكتاب كتاب فن وأدب .

وقد ذكر هذا الكتاب فى المصادر القديمة التى تتحدث عن الأعلام ، وعن كتبهم ، وما قدّموا إلينا من تراث خالد ، فقد ذكره صاحب الفهرست ، بل وقدّمه على ما ذكر من كتب كشاجم فقال [(١)] : « وله من الكتب كتاب أدب النديم ، وكتاب الرسائل ، وكتاب ديوان شعره » ، وذكره مرة أخرى حين كان يتحدث عن الشعراء ودواوينهم وعدد أوراق هذه الدواوين فقال [(٢)] : « كشاجم ... من ولد السندى بن شاهك مائة ورقة . وله كتاب أدب النديم » .

وقد ذكره ابن شاكر الكتبى فقال [(٣)] : « وله من التصانيف كتاب أدب النديم ، وكتاب المصايد والمطارد ، وكتاب الطبيخ » .

وقد ذكر في غير هذين من المصادر القديمة والحديثة [(٤)] .

---

(١) الفهرست ١٥٤

(٢) الفهرست ١٩٤

(٣) فوات الوفيات ٤/٩٩

(٤) انظر كشف الظنون ١/٤٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٨٥ ، ومعجم المؤلفين ١٢/١٥٩ ، والأعلام ٧/١٦٧

نسخ الكتاب :

حين حصلت على فهرس المخطوطات المصورة من معهد المخطوطات العربية وقع نظرى على اسم الكتاب فى ص ١٧ فى الجزء الأول من القسم الثانى تحت رقم ٩٢٨ ، فجذبنى إليه جذبًا ، فطلبت مصوّرته (ميكروفيلم) ، فوجدت فيها علمًا موفورًا ، وأدبًا رفيعًا ، وفنًّا دقيقًا ، فوقع فى خاطرى أن أقوم بتحقيقه ؛ ليفيد منه محبو الأدب والثقافة ، وحين استقرت نفسى على هذا الأمر أخذت فى قراءة الكتاب كله أولًا ؛ لأطمئن من ناحية فائدته .

والكتاب يقع فى سبع وسبعين ورقة ، ولا يزيد ما فى الصفحة عن سبعة أسطر ، وقد كتبه مسعود بن محمد بن غازى ، كما يتضح من صفحة العنوان ، وإن كان لم يذكر سنة نسخه ، ولكن خط كتابة هذه النسخة يدل على أنه من خطوط القرن الخامس أو السادس .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز [ص] على أنها الأصل ، ولم أجد لهذا الكتاب نسخا أخرى مخطوطة .

ولكننى عثرت على نسخة مطبوعة فى المطبعة الأميرية عام ١٢٩٨ هـ . وهى من مقتنيات مكتبة أستاذنا العلامة محمود شاكر - رحمه الله - وقد قمت بتصويرها حتى أستطيع مقابلتها على المخطوطة السابقة الذكر ، ولكن هذه النسخة مليئة بالأخطاء التى سيراها القارىء ، كما أنها غير مضبوطة أو محققة ، فهى فى نظرى لا تزيد على أن تكون ملتزمة بالأصل الذى طبعت منه دون تصرف ، ومن هنا تكون فائدتها الآن معدومة ، وإن كانت فى زمن طباعتها غير ذلك .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز [م] .

ثم وجدت نسخة أخرى مطبوعة طباعة رديئة عام ١٣٢٩ هـ . بمطبعة جورجى غرزوزى بالإسكندرية ، وجاءت هذه الطبعة تحت عنوان « أدب الندماء ولطائف الظرفاء » تأليف الكاتب البليغ والشاعر الناثر المجيد أبى الفتح محمود بن كشاجم (كذا) لازال منهلا عليه إحسان ربه الدائم » هذا فى حين أن اسم الكتاب جاء فى مقدمة هذه النسخة هكذا « أدب النديم » .

وقد أغفلت هذه النسخة كسابقتها كل شىء من حيث الضبط ، وتخريج الأبيات الشعرية ، وتحرير أسماء الأعلام ، والتعريف بها ، وهذه النسخة كسابقتها

لا تفيد القارىء كثيرا ، وإن كانت هذه النسخة أسوأ من سابقتها فى كثرة الأخطاء .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز [ط] .

وسوف يرى القارىء الفطن مقدار الجهد الذى بذل فى سبيل إخراج هذا الكتاب إخراجًا محققًا مضبوطًا ، مما يجعل الإفادة منه محققة إن شاء الله .

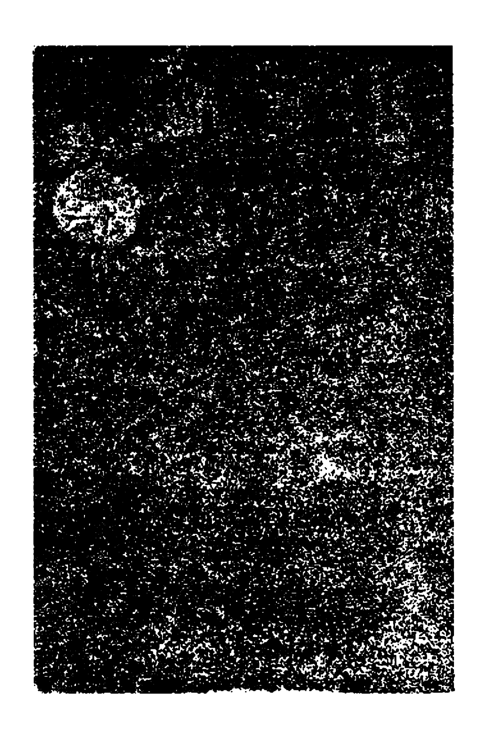
وأعتقد اعتقادًا جازمًا أن إخراج أى عمل ثقافى فى صورة جيدة من الطباعة يجذب القارىء إلى القراءة ، ويوضح مقدار الجهد فيه من الناحيتين التحقيقية والمطبعية .

وأرجو من الله أن أكون قد وفقت فى عملى هذا ، وأن أوفق فى أعمالى المقبلة إن شاء الله ، وأن ينفع بهذا الكتاب وبغيره ، إنه سميع مجيب ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان

القاهـــــرة
فـــى
عزبة النخل

٢ من ذى القعدة ١٤٠٦ هـ
٩ من يولية ١٩٨٦ م



صفحة عنوان الكتاب

الورقة [١١ – ظ]

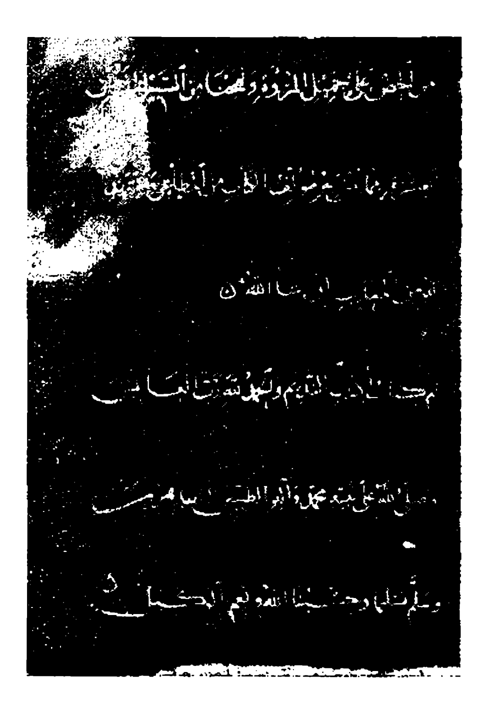


الورقة [١٢ – و]

الورقة [٥٧ - ظ]



الورقة [٥٨ - و]



آخر صفحة من المخطوط





تأليف

أبو الفتح محمود بن الحسين كشاجم



بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله بكنه النية ، والثناء عليه بغاية الاستطاعة ، وشكره على ما خص به أهل الأدب من الفضيلة ، وأحلّهم إياه من المنزلة الرفيعة ؛ لالتباسهم بالنفوس ، وتمكنهم من القلوب ، وتنزّههم عن العيوب ، فإني وجدتُ من تقدم من العلماء ، وعُني بتأليف الكتب من الأدباء ، قد جرّدوا [1] / بذكر الشراب كتبًا ضمّنوها من نعوت أصنافه ، وأوصاف محرّمه ومحلّله ، وتبيين خصاله ولطائفه ، وحدود منافعه ومضاره ، وضروب ملاذه ومساره ، ما استغرقوا [2] فيه المعنى ، واستوفوا [3] به المدى ، وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره ، والتنبيه على منزلته وموقعه ، وإفراده من القول بما يبين عن فضله ، ويدل على محله إلا في جُملٍ / أدرجوها ، ولم يبسطوها ، ولُمَع في أطراف الكتب فرقوها ، ولم يؤلفوها ، فأَحببتُ أن أجرِدَ في ذلك كتابا أفصله وأبوبه ، وأُوَفّي كل معنى فيه حقه ، وأضمَّ إلى كل شكلٍ شكلَه ، وأجمع إلى ما تستنبطه [4] القريحة أحسن ما وجدته في هذا المعنى متفرقا في أمثال الحكماء ، ومنظوم الشعراء ، ومنثور البلغاء ، وأخبار الظرفاء ، وأودعه من أدب / النديم ما لا يستغنى عنه شريف ، ولا يجوز أن يخل به ظريف ؛ ليكون منهجًا واضحًا لمن نظرَ فيه ، وإمامًا يقتدى به مَن وقع إليه .

٢/و ٢/ظ ٣/و

---

(١) في ص « جردو » .

(٢) في ص « ما استغرقو » .

(٣) في ص « واستوفو » .

(٤) في م « تستطيبه » .

وأسأَل الله حُسن التوفيق لسديد المقال ، والسلامة من الزَّلَل والعثار بمنِّه وقُدرته [١] .

* * *

(١) في ظ جاءت المقدمة بعد البسملة هكذا « الحمد لله وجل ثنائه (كذا) ، والصلاة والسلام على صفوة أنبيائه ، أما بعد فقد عن لى أن أجمع هذا الكتاب ، وأهذبه وأرتب مواضيعه ، وأبوبه ، وأوفى كل معنى فيه حقه ، وأضم إلى كل شكل شكله ، وأجمع إلى ما تستطيعه القريحة أحسن ما وجدته في هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ، ومنظوم الشعراء ، ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء ؛ وأودعه من أدب النديم ما لا يستغنى عنه شريف ولا يجوز أن يخل به ظريف ؛ ليكون منهجًا واضحًا لمن نظر فيه . وإماما يقتدى به من وقع إليه . وأسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال ، والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته » .

باب مدح النديم
وذكر فضائله وذم المتفرد [١] بشرب النبيذ

* * *

٣/ظ ● - / أخبرني جماعةٌ من الموثوق بهم في اللُّغة : أن العرب إنما سَمَّتِ النَّدِيمَ نديمًا ؛ لأنه يُندَمُ على فِراقِه .

● - وفَخَرَ امرؤُ القَيْسِ [٢] - مع شَرفِه ومُلُوكِيَّتِه - بالندام [٣] فقال :

[المتقارب]

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا [٤]

● - وقال المتقدّمون : كاتِبُ الرَّجلِ لِسانُه ، وحاجِبُه وجْهُه وجَليسُه كُلُّه .

● - وقالوا [٥] : إذا وُلِّيتَ عملًا فانظر مَنْ كَاتِبُك ، فإنما يَعرفُ مقدارَك مَنْ بَعُد / عنك بِكتابِك ، واستعقِلْ حاجِبَك فإنَّه يَقْضى عليك الوفُودُ قَبْل الوصولِ ٤/و

---

(١) في م ، ط « المنفرد » .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى ، كان أبوه قد ملك بني أسد فظلمهم ظلما شديدًا ، فقتلوه ، ولما بلغه خبر قتل والده قال : ضيعني صغيرا ، وحملني ثقل الثأر كبيرًا ، اليوم خمر وغدًا أمر ، وطلب مساعدة قيصر في الأخذ بالثأر ، ثم وُشي به عند قيصر ، فألبسه حلة مسمومة تسببت في وفاته .

طبقات فحول الشعراء ٥٢/١ ، ٨١ - ٩٦ ، والشعر والشعراء ١٠٥/١ ، والأغاني ٧٧/٩ ، والموشح ٢٦ ، والمؤتلف والمختلف ٩ ، والعمدة ١١٥/١ بتحقيقنا ، ومعاهد التنصيص ٩/١ ، وجمهرة أشعار العرب ٦٥ ، ١١٣ وثمار القلوب ٢١٤ ، وخزانة الأدب ٣٢٩/١ ، وشرح القصائد السبع الطوال ٣ ، وديوانه ط دار المعارف .

(٣) في ط « بالندم » .

(٤) ديوان امرئ القيس ٢٥٢ وأوجهني : جعلني وجيهًا عند الناس .

(٥) القائل هو العتابي كما في مروج الذهب ١٦/٤

إِليك بحاجِبك ، [١] واستظرِفْ نَديمَك فإنما يَزِنُكَ الدَّاخلُ إليك بِمِثْقالِ مَنْ يَراه مَعَك . [١]

● – وفاخَر [٢] كاتبٌ نديمًا فقال الكاتبُ [٣] : أنا معونةٌ ، وأنت مُؤُونةٌ [٤] ، وأنا لِلجدِّ ، وأنت للهَزْل ، وأنا للشِّدَّةِ ، وأنت لِلَّذَّة ، وأنا للحرب وأنت للسِّلْم . فقال النديم [٥] : أنا [٦] للنِّعمةِ ، وأنتَ للخِدْمةِ / وأنا للحُظْوة ، وأنت للمِهْنَة ، تَقُومُ وأنا جالس [٧] ، وتَحْتَشِـــــم [٨] وأنا مؤانِسٌ ، تَدْأَبُ لِراحتي ، وتَشْقَى لِسَعادتي ، فأنا شَرِيكٌ ، وأنتَ مُعِينٌ ، كما أنَّكَ تابعٌ ، وأنا قَرِين .

● – إلا أنَّ بعضَ البخلاءِ يقول [٩] :

[المنسرح]

إِذَا وَجَدْتَ الْمُدَامَ فَاغْنَ بِهَا ... عَنْ كُلِّ مَنْ فِي نَدَامِهِ سُخْفُ
فِي شُرْبِهَا مِنْ نَدَامِهِ خَلَفٌ ... وَلَيْسَ فِيهِ مِنْ شُرْبِهَا خَلَفُ [١٠]
فَلَا يُشَارِكْكَ فِي السُّرُورِ بِهَا ... مُشَارِكٌ كُلُّ شِرْكَةٍ أَسَفُ [١١]

/ فما زَادَ بهذا القولِ على أنْ بَيَّنَ [١٢] مكانَه من البُخْل والجَهْل ، بل هو في

(١ – ١) ما بين الرقمين جاء في مروج الذهب هكذا « واستكرم واستظرف جليسك ونديمك ، فإنما يوزن الرجل بمن معه » .

(٢) جاء النص كله في مروج الذهب ١٦/٤ ، وديوان المعاني ٣١٩/١ ، وزهر الآداب ١٠٠٩/٢ و ١٠١٠ ، ونهاية الأرب ١٢٦/٤ ، والأجوبة المسكتة ٢٢٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) سقطت كلمة « الكاتب » من ط .

(٤) في م و ط « مؤنة » .

(٥) سقط قوله « فقال النديم » من ط .

(٦) في ط « وأنا » .

(٧) في ط « وأنا أجلس » .

(٨) في ط « وأنت تحتشم » وما في ص يوافق المصادر المذكورة .

(٩) لم أعرف قائل الأبيات .

(١٠) في ط « من ندمه » .

(١١) في ص « لا يشاركك » ، واعتمدت ما في م ، ط لصحة الوزن .

(١٢) في ص « يبين » ، واعتمدت ما في م ، ط .

ذلك كما قال أبو نُوَاس (١) :

[البسيط]

حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ (٢)

● - ولعَمْرِى (٣) إن لِلنَّبيذ الفضَائلَ التى لا تُدْفَعُ ، والخَصَائصَ التى لا تُجْحدُ ، والقُوى التى تَعْكِسُ (٤) الأضدادَ ، وتُعَدِّل المزَاج ، وتُصحِّح الطِّباع ، وهو الموصوفُ بتَشْجِيع الجَبَانِ ، وتَقْوِيةِ الجَنَان ، وإطْلاقِ اللِّسان ، / وتبسيطِ البَنَان ، إلا أنَّ فيه بإزاء هذه الخِلال أشياءَ تَقْدحُ في محاسنه ، وتبين عن مَعَايبه : منها أن صاحبه يَتَكَرَّهُهُ قَبْل شُرْبِهِ ، ويُكَلِّحُ عند شَمِّه ، ويَغْتَم أن يفضل فى قَدحِهِ ، ويكثر عتاب ساقيه ، ويعاقر عليه ، ويمزجه ليغيِّر طَعْمه ، ويتجرَّعُه ولا يكاد يُسيغُه ، ويستعيذ بالنُّقل بعده ، ويعانى من الدُّوَارِ والخُمَارِ مالا خفاء (٥) به ، حتى لقد قال بعضُ / الأُدباء : لولا أن المخمور (٦) يَعْلم قصَّتهُ لقَدَّمَ وصيَّتَه ، ثم السُّكْرُ (٧) ، وهو أكبرُ عيوبه ، حتى إن المِلَلَ كلَّها مُجْتمعةٌ على تحريمه غير مختلفة فيه ، وحتى لقد

٦/و

٥/ظ

---

(١) هو الحسن بن هانىء ، مولى الحكم بن سعيد العشيرة ، ويكنى أبا نواس ، واشتهر بكنيته ، وقد انقطع إلى والبة بن الحباب ؛ ولما مات والبة لزم خلفا الأحمر ، وشعره متفاوت الدرجة ، وكان ماجنًا خليعا ت ١٩٨ هـ أو ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ .

الشعر والشعراء ٧٩٦/٢ ، والأغانى ٦٠/٢٠ ، والأغانى ٨٩٣١/٢٩ ط الشعب ، وتاريخ بغداد ٤٣٦/٧ ، وطبقات ابن المعتز ١٩٣ ، ومعاهد التنصيص ٨٣/١ ، والموشح ٤٠٧ ، ووفيات الأعيان ٩٥/٢ ، ونوادر المخطوطات ٢٩٦/٢ ، والفهرست ١٨٢ ، ومسائل الانتقاد ١٣٣ ، وديوانه ، والأعلام ٢٢٥/٢

(٢) ديوان أبى نواس ٧ والمذكور عجز بيت صدره :

فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِى فى العِلْمِ فلسفةً

(٣) فى التمثيل والمحاضرة ٢٠٢ ٢٠٥ كلام يقترب مما هنا فانظره ، وانظر المختار من قطب السرور ٤٧ وما بعدها .

(٤) فى ط « لا تعكس » .

(٥) فى ص « ما لا خطا » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٦) فى ط « الخمور » ، وهذه الجملة وحدها فى التمثيل والمحاضرة ٢٠٣

(٧) هذا الجزء فى المختار من قطب السرور ٤٠٢

حرَّمَ الخمرَ في الجاهلية جماعةٌ من كبراء العرب وأفاضلهم ؛ لِمَا نالهم من مَعَرَّةِ السُّكْرِ ، منهم قيسُ بن عاصم السعدى [١] ، وعامرُ بن الظَّرِب [٢] العدوانى [٣] ، وعفيفُ بن معديكرب [٤] ، ومِقْيَسُ بن / ضبابة السهمى [٥] ، وعبدُ الله بن جُدعان [٦] ، وكثير من هذه الطبقة نكره الإطالة بذكر أسمائهم .

٦/ظ

---

(١) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى ، يكنى أبا على ، وقيل غير ذلك ، وهو أحد عقلاء العرب ، وأحد المشهورين بالحلم ، قدم على النبى ﷺ فى وفد بنى تميم ، فلما رآه الرسول ﷺ قال : هذا سيد أهل الوبر ، توفى بالبصرة عام ٢٠ هـ .

الاستيعاب ١٢٩٤/٣ ، إمتاع الأسماع ٤٣٤/١ ، والعقد الفريد ٣٤٦/٦ ، ونهاية الأرب ٨٨/٤، سمط اللآلى ٤٨٧/١ ، الأعلام ٢٠٦/٥

(٢) فى م « بن لظرب » .

(٣) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى ، كانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ثم رضوا بما قضى فيه ، ويقال : إنه عاش مائتى سنة .

سيرة ابن هشام ١ ١٢٢/٢ ، والمعمرون والوصايا ٥٦ ، والبيان والتبيين ٢٦٤/١ ، والأمالى ٢٠٤/١ ، ونهاية الأرب ٨٩/٤، والأعلام ٢٥٢/٣

(٤) ورد ذكره فى الأمالى ٢٠٥/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٤ ، وهو عم الأشعث بن قيس الكندى .

(٥) هو مقيس بن ضبابة - بالمعجمة كما فى معجم الشعراء ، أو ابن صبابة بالمهملة كما فى م و ط ، وسيرة ابن هشام ، أو ابن حبابة كما فى ابن هشام - ابن حزن بن سيار ، قدم إلى رسول الله ﷺ مظهرا الإسلام ، وطلب من الرسول الكريم دية أخيه الذى قتل خطأ ، فأمر له الرسول ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة ، ثم أقام مدة ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم هرب إلى مكة مرتدا ، وقد أمر الرسول ﷺ بقتله .

سيرة ابن هشام ٣ - ٢٩٣/٤ ، ٤١٠ ، ونهاية الأرب ٨٩/٤ ، ومعجم الشعراء ٤٣٤ ، والمختار من قطب السرور ٤٥٦

(٦) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب ... التيمى القرشى ، وهو ابن عم أبى بكر الصديق ، وكان يسمى « حاسى الذهب » لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، وكان أحد الأجواد المشهورين فى الجاهلية ، وحضر النبى ﷺ إحدى مآدبه هو وأبو جهل ، وهما غلامان ، فازدحما عليها فدفعه رسول الله ، فوقع أبو جهل على ركبته ، مما ترك أثرا كبيرا بها ، وقد أحفظ هذا أبا جهل على رسول الله ﷺ ، وكان ابن جدعان أول من أدخل الفالوذج إلى مكة .

طبقات ابن سلام ٢٦٤/١ ، والبيان والتبيين ١٧/١ ، والشعر والشعراء ٦٤٥/٢ ، والأمالى ٣٨/٣، ونهاية الأرب ٨٨/٤ ، والسيرة لابن هشام ١ - ١٣٤/٢ ، والأعلام ٧٦/٤ ، والمعارف فى صفحات كثيرة .

• - فلقيس بن عاصم في تحريمها [١] :

[الوافر]

رَأيْتُ الْخَمْرَ مُصْلِحَةً وَفِيْهَا ... خِصَالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْكَرِيْمَا [٢]

لأَنَّ الْخَمْرَ تَفْضَحُ شَارِبِيْهَا ... وَتَجْنُبُهُمْ بِهَا الأَمْرَ الْعَظِيْمَا [٣]

إِذَا دَبَّتْ حُمَيَّاهَا تَعَلَّتْ ... طَوَالِعُ تَسْفَهُ الرَّجُلَ الْحَلِيْمَا [٤]

• - وقال مِقْيَسُ بن ضبابة [٥] :

[الوافر]

/ رَأيْتُ الْخَمْرَ طَيِّبَةً وَفِيْهَا ... خِصَالٌ كُلُّها دَنَسٌ ذَمِيْمُ ٧/و

وَلَا وَاللهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِي ... طِوَالَ الدَّهْرِ مَا طَلَعَ النُّجُومُ [٦]

• - فأما مِقْيَسُ بن ضبابة فإنه كان سَكِر [٧] ، فجعل يَخُطُّ بِبَوْلِهِ ويقول : نَعَامة أوْ بَعِير ، فلما أُخبر بذلك فحرَّمَ الشَّراب .

• - وأما عبدُ الله بنُ جُدْعَان فإنه سَكِر وجعل يُسَاوِر [٨] الْقَمَر ، فلما أصْبح وخُبِّر بذلك حرَّمَه أيضا .

---

(١) الأبيات تنسب إلى قيس بن عاصم في الاستيعاب ١٢٩٥/٣ ، ونهاية الأرب ٨٨/٤ و ٨٩ ، ونسبت إلى صفوان بن أمية في المختار من قطب السرور ٤٥٤ ، ونسب الأول مع بيت آخر إليه في الأمالي ٢٠٤/١ ونسب البيت مع الآخر إلى أبي محجن في الأغاني ١٠/١٩

(٢) في الاستيعاب « صالحة » ، « الرجل الحليما » ، وفي نهاية الأرب « وجدت الخمر جامحة » ، « خصال تفضح » وفي الأمالي « مناقب تفسد » .

(٣) في الاستيعاب ونهاية الأرب « فإن الخمر » ، وفي ص « شاربها » وهو خطأ ، واعتمدت ما في م و ط والاستيعاب ونهاية الأرب ، وفي نهاية الأرب « وتجشمهم بها أمرًا عظيمًا » ، وفي ط والاستيعاب « وتجنبهم » .

(٤) في نهاية الأرب « إذا دارت حمياها » .

(٥) البيتان لمقيس بن ضبابة في معجم الشعراء ٤٣٤ والمختار من قطب السرور ٤٥٦

(٦) في معجم الشعراء والمختار « فلا والله » .   (٧) في ط « فإنه سكر » .

(٨) في ص كتب في الهامش « المساورة : المواثبة » ، وقد قال عبد الله بن جدعان في ذلك :

شربتُ الخمرَ حتى قال صحبي ... ألستَ عن السُّفَاةِ بمستفيقِ ؟

وحتَّى ما أوسَّد في منامٍ ... أنام به سِوَى الترب السحيقِ

وحتى أغلقَ الحانوتَ رَهْني ... وأنكرتُ العدوَّ من الصديقِ

انظر نهاية الأرب ٨٨/٤ ، والمختار من قطب السرور ٤٥٦

٧/ظ • - وقيل / لأعرابي (١) : أتَشْرِبُ النبيذ (٢) ؟ فقال : أشْرَبُ ما يشربُ عَقْلي؟

• - وقيل لِبَاذُوقٍ (٣) : لِمَ تَرَكتَ النَّبيذَ ؟ فقال : رأيتُ صاحبَهُ لا يَرْوَى منه ، ووجدتُ بعضَه يدعُو إلى بَعْض ، فتركْتُ قليلَهُ لكثيره .

• - ومِمَّنْ (٤) كان يشربُهُ للشَّهْوة الْغَالِبَةِ فقط ، ولا يُبَالي على أيِّ الحالات شَربَه ، منفردًا وَحْدَه (٥) ، او مُجْتَمِعًا فيه مع غيره ، جماعة لا يُتَّهمُون (٦) في عَقْلٍ / ولا رَأْي ، إلا أنَّ إفْراطَهم في هذه الشهوة أبْطَلَهم ، وغَلَبَ عليهم ، ففَسَدَتْ حالُ دُنْياهُم ودِيْنهم . ٨/و

• - منهم أبو الهندي شبث بن ربعي التميمي (٧) ، ومر به نصر بن سيار الليثي (٨) ، وهو يميل سكرًا ، فقال له (٩) : أفسدتَ شرفَكَ ، فقال : لَوْ لَمْ أُفْسِدْ شَرَفي لم تكن أنت وَالِيَ خراسان (١٠) .

---

(١) محاضرات الأدباء ٦٧٧/٢/١ ، والعقد الفريد ٣٣٨/٦ ، والمستطرف ٥٠١/٢ وفيهم : « لا أشرب مايشرب عقلي » .

(٢) في م و ط « تشرب » بحذف الهمزة .

(٣) في م « لبياذوق » ، وفي عيون الأخبار ٢٧٠/٣ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ « تياذوق » متطبب الحجاج ، وفي العقد ٣٠٦/٦ باذوق ؛ وفي الفهرست ٣٦٠ بتاذوق .

(٤) في ط « ومنهم من كان ... » .

(٥) في ص « منفردا أو وحده » واعتمدت ما في م و ط .

(٦) في ط « لا يهتمون » .

(٧) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي اليربوعي ، أو غالب بن عبد القدوس ، كان شاعرًا مطبوعا ، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، وكان منهومًا بالشراب مستهترًا به ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وفي ط « شبث بن سيار ربعي » وهو خطأ ، مات في حدود سنة ١٨٠ هـ بخراسان .

الشعر والشعراء ٦٨٢/٢ ، وطبقات ابن المعتز ١٣٦ ، والأغاني ٣٢٩/٢٠ ، ونهاية الأرب ٩٦/٤ ، وفوات الوفيات ١٦٩/٣ ، وأدب الكتاب ٦٦ وفيه اسمه أشعث اليربوعي ، وسمط اللآلي ١٦٨/١ ، ٢٠٨، الوافي ٢٧٦/٩

(٨) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي تولى حكم خراسان في عهد هشام بن عبد الملك ، فلم يزل واليًا عليها حتى وقعت الفتنة ، فخرج يريد العراق ، فمات في الطريق بناحية ساوة .

الشعر والشعراء ٧٦/١ ، وعيون الأخبار في صفحات متفرقة منه ، والمعارف ٤٠٩ وصفحات أخرى منه ، والوزراء والكتاب ٦٦

(٩) في ط سقط « له » .

(١٠) انظر هذا في العقد الفريد ٣٤٣/٦

• - وحَارِثَةُ [١] بن بَدْر الغُدَانيّ [٢] ، وكان غَلَبَ على زِيَاد ، وغلب الشرابُ عليه / فعُوتب زيادٌ في الاستئثار به ، فقال : كيف أُطْرِح رجلًا هو [٣] يُسَايرني منذ دخلتُ العراقَ ، فلم تَصْطَكّ [٤] رِكاباه بركابي ، ولا تَقَدَّمني فنظرْتُ إلى قفاه ، ولا تَأَخَّر عنّي فَلَوَيْتُ عُنقي إليه ، ولا أخذ عليّ الشَّمسَ في شِتاءٍ قطّ ، ولا سَألْتُه عن بابٍ من العلمِ إلّا ظَننتُ أنه لا يُحْسِنُ غيره [٥] ؟ ٨/ظ

• - والوَلِيدُ بنُ عُقْبة [٦] ، وكان أميرًا عَلَى الكُوفَةِ ، فصَلَّى بهم [٧] صلاةَ / الفَجْرِ ثلاثًا ، ثم الْتَفَتَ إليهم في وقتِ التَّسْليم فقال : أحَسَبْكُم أو أزِيدُكم [٨] ؟ ٩/و

---

(١) في ص « جارية » ، وفي ط « حادثة » وهو تصحيف فيهما ، والتصحيح من م والمصادر الآتية .

(٢) هو حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني ، قيل أدرك النبي ﷺ وله أخبار في الفتوح الإسلامية ، وكان من المختصين بزياد بن أبي سفيان ، وقد كلف بقتال الخوارج في العراق فهزموه ، فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم سنة ٦٤ هـ .

عيون الأخبار في أكثر من موضع ، والشعر والشعراء ٧٣٨/٢ ، ونهاية الأرب ٩٥/٤ وفيه اسمه حارثة بن زيد العدواني ، الأعلام ١٥٨/٢

(٣) في ط « وهو يسايرني » .

(٤) في ط « يصطك » بالمثناة التحتية .

(٥) انظر القصة بتفصيل أكبر في الكامل ٣١٥/١ و ٣١٦ ، والعقد الفريد ٣٤١/٦ والمحاضرات ٦٨٠/٢/١

(٦) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، يكنى أبا وهب ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم فتح مكة ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [سورة الحجرات : ٦] توفى سنة ٦١ هـ .

المعارف ٣١٨ ، والشعر والشعراء ٢٧٦/١ ، والأغاني ١٢٢/٥ ، ونهاية الأرب ٩٠/٤ ، والأعلام ١٢٢/٨

(٧) في ط « فصلى عليهم » .

(٨) في ط « وأزيدكم » ؛ وانظر الحكاية في العقد الفريد ٣٤٨/٦

● - وأبو مِحْجَنِ الثَّقَفِي [١] ، وكان مِحْرَبًا [٢] مُغْرمًا بالشَّراب ، وله مع سَعْد [٣] بنِ أبي وقَّاص فِي الشُّراب أخبارٌ يَطولُ شَرْحَها .

ومَنْ لم نَذْكر أسماءَهم من هذِه الطَّبقة كَثِير .

● - فإذَا كانت هذه صُورَة النَّبيذِ فإنما يُغْتفر له ما ذكرنا [٤] ، ويُتَجوَّز فيه ، ويُتَجافَى عنه ؛ لما بُنِيَ عليه ، وجُعِل سببًا إليه مِن / اجتماعِ الشَّملِ ، وأُنْس المُنادَمة ، وأرْيَحيَّة المذاكرة .

٩/ظ

● - ولو انْفردَ النَّبيذُ بنفسه ، وحُصِل عليه وحده دُونَ النَّديمِ المُساعد ، والسَّماعِ المُطربِ لكان الْوِعاءُ أوْلَى به ، فقد تَبيَّنَ بهذا أنَّ المُعاقَر أفضلُ من العُقار ، والنَّديمَ فائدة المُدَام ، وأنشدني [٥] منشد [٦] :

[الخفيف]

لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا رَضَاعٌ وَلَكِنْ ... وَلَّدَتْ بَيْنَنَا الْمُدَامُ رَضَاعَا [٧]

إنْ يَكُنْ أوَّلُ الْمُدَام رَضَاعَا ... أوْ يَكُنْ آخِرُ الْمُدَام صُدَاعَا [٨]

/ فَلَهَا بَيْنَ ذَا وَذَاكَ هِنَاتٌ ... وَصْفُهَا بِالسُّرُورِ لَنْ يُسْتَطَاعَا [٩]

١٠/و

---

(١) هو عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف ، وكان مغرما بالشراب ، حده عمر مرارًا في الخمر ، وحده سعد بن أبي وقاص مرارا وحبسه وشهد القادسية فأبلى بلاء حسنًا ، فقال سعد : والله لاحبستك فيها أبدا ، فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدًا ت ٣٠ هـ .

طبقات ابن سلام ٢٦٨/١ ، والشعر والشعراء ٤٢٣/١ ، والعقد الفريد ٣٥٠/٦ ، ونهاية الأرب ٩٠/٤ ، والأعلام ٧٦/٥ .

(٢) في ص كتب تحتها « صاحب حروب » .

(٣) في ط « سعيد » ، ومثل هذا في نهاية الأرب .

(٤) في ط « ما ذكرناه » .

(٥) في ط « وأنشد لي » .

(٦) لم أستطع معرفة القائل ، على الرغم من ذكر الأبيات في المصادر .

(٧) البيت الأول جاء في ديوان المعاني ٣١٨/١ بعد بيت غير مذكور هنا ، والبيتان الثاني والثالث في محاضرات الأدباء ٦٨٥/٢/١ والمختار من قطب السرور ٨٤ دون نسبة في الجميع ، وفي ديوان المعاني : « ولكن صيرت بيننا » .

(٨) في المحاضرات « دوارا » بدل « رضاعا » ، ويبدو لي أنه الأوفق ، وفي المختار من قطب السرور « كربها » بدل « رضاعًا » ، « ويكن آخر » وهو صحيح من حيث الوزن .

(٩) البيت بنصه في المحاضرات والمختار .

● - ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين [١] :

[الوافر]

أرى لِلْكَأْسِ حَقًّا لا أَرَاهُ ... لِغَيْرِ الْكَأْسِ إِلَّا لِلنَّدِيْمِ [٢]

هُوَ الْقُطْبُ الَّذِى دَارَتْ عَلَيْهِ ... رَحَى اللَّذَّاتِ فِى الزَّمَنِ الْقَدِيْمِ

● - فأما قول أبى نواس [٣] أمير هذا الشأن وفارسه [٤] :

[السريع]

/ خَلَوْتُ بِالرَّاحِ أُنَاجِيْهَا ... آخُذُ مِنْهَا وَأُعَاطِيْهَا ١٠/ظ

نَادَمْتُهَا إِذْ لَمْ أَجِدْ مُسْعِدًا ... أَرْضَاهُ أَنْ يَشْرَكَنِى فِيْهَا [٥]

فهذا بعدُ إنما يَدُل على فضْلِ النَّديم ، وأنه لم يَتَفرَّد بالنَّبيذ مختارًا ، وإنما توحَّد[٦] به ضرورة لقوله : إنه لم يجد نديمًا مُرْتضى ، أو ليس هو القائل [٧] :

[الكامل]

وَالرَّاحُ طَيِّبَةٌ وَلَيْسَ تَمَامُهَا ... إِلَّا بِطِيْبِ خَلَائِقِ الْجُلَّاسِ [٨]

● - ولم تُفْتَتَح أبياتٌ فى مدحِ نَديمٍ أحْسَنَ من قولِ / ابن [٩] مُسْهِر ١١/و الطائى [١٠] :

---

(١) هو أبو نواس ، وهما فى ديوانه ٢٢١ ، والبيتان دون نسبة فى ديوان المعانى ٣١٨/١ ، وفى المحاضرات ٦٩٢/٢/١ ، والمختار من قطب السرور ٤٢٧ ، ونهاية الأرب ١٢٧/٤

(٢) فى ديوان المعانى « أرى للراح » و « لغير الراح » .

(٣) فى ط « فأما أبى نواس » (كذا) .

(٤) ديوان أبى نواس ١١٤ بنصهما .

(٥) فى م و ط « أرضاء » .. بدل « أرضاه » وهو خطأ مطبعى .

(٦) فى ط « وإنما توجد » .

(٧) ديوان أبى نواس ١٠٥

(٨) فى الديوان « فالراح » ، وفى م « الراح » .

(٩) فى ص و م و ط « أبى مسهر » وهو خطأ . انظر التعليق الآتى .

(١٠) هو البرج بن مسهر بن الجلاس أحد بنى جديلة ، ثم أحد بنى طريف بن عمرو بن ثمامة ... وينتهى نسبه إلى طيء وهو أحد المعمرين ، وفد إلى النبى ﷺ .

المؤتلف والمختلف ٨٠ ، وشرح ديوان الحماسة ١٢٧٢/٣ ، والحماسة ٣٤/٢ ، والأمالى ٢٨٩/٢ ، والاشتقاق ٣٨٢ ، وشرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ٣٨٦ ، والمحب والمحبوب والمشموم والمشروب ٩٦/٤ ، والأعلام ٤٧/٢

[الوافر]

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ [١]

• - وللعَطَوِى [٢] أشعارٌ كثيرةٌ في النِّدام ، كلها مختارة ، فمنها [٣] :

[الطويل]

يَقُولُونَ قَبْلَ الدَّارِ جَارٌ مُوَافِقٌ وَقَبْلَ الطَّرِيْقِ النَّهْجِ أُنْسُ رَفِيْقِ [٤]

فَقُلْتُ : وَنَدْمَانُ الْفَتَى قَبْلَ كَأْسِهِ وَمَا حَثَّ سَيْرُ الْكَأْسِ مِثْلُ صَدِيْقِ [٥]

وقال أيضا [٦] :

[الكامل]

/ الرَّاحُ وَالنُّدْمَانُ أحْسَنُ مَنْظَرًا مِنْ كُلِّ مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ رَائِقِ

١١/ظ

فَإِذَا جَمَعْتَ صَفَاءَهَا وَصَفَاءَهُ فَاقْذِفْ بِكُلِّ مُلِمَّةٍ مِنْ شَاهِقِ

• - ولقد مَلُحَ عِصَابَةُ الْجَرْجَرَائِيِّ [٧] في قوله :

---

(١) في المؤتلف والحماسة وشرح ديوان الحماسة وشرح مايقع فيه التصحيف ، وجاء بنصه في المحب والمحبوب والمشموم والمشروب « سقيت إذا ... » .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، يكنى أبا عبد الرحمن ، بصرى المولد والمنشأ ، وكان شاعرًا كاتبًا من شعراء الدولة العباسية ، اتصل بأحمد بن أبي داؤد ، وتقرب إليه بمذهبه ، وتقدمه فيه بقوة جداله عليه ت ٢٥٠ هـ .

الأغاني ١٢٣/٢٣ ، ومعجم الشعراء ٣٧٧ ، وطبقات ابن المعتز ٣٩٤ ، وسمط اللآلىء ١/١٤٠-١٤ و ٣٣٩ و ٨٥٥/٢ ، والمصون ٨٧ ، والفهرست ٢٣٠ ، ووفيات الأعيان ٣٩/٦ في أثناء ترجمة أبي البحترى ، والوافي ٢٢٥/٣ ، وتاريخ بغداد ١٣٧/٣ ، والأعلام ١٨٩/٦

(٣) البيتان بنسبتهما إلى العطوى في لباب الآداب ٩٢/٢ ، وجاءا في المحاضرات ٦٩٣/٢ بنصهما ، وهما غير منسوبين فيه ، وقد نسبا للعطوى في المختار ٤٢٧ . الطريق النهج : الواضح .

(٤) في لباب الآداب : « وقبل طريق المرء ... » .

(٥) في المختار ولباب الآدب : « فما حث كأس المرء ... » .

(٦) البيتان في المختار ٤٣٠ ، وفيه « فإذا جمعت صفاتها وصفاته » ، « بكل ملمة من حالق » ، والأغاني ١٢٢/٢٣ باختلاف يسير جدا .

(٧) هو محمد بن عبد الله بن إسماعيل الكوفي ، وقيل إسماعيل بن محمد ، ويكنى أبا إسحاق ، وورد ذكر اسمه في أخبار أبي تمام وأدب الكتاب ، وفي المختار قبل : ولقد أحسن الجرجاني . وهو خطأ ، وفي الزهر : « عصابة الجرجاني » ، وهو خطأ أيضا .

طبقات ابن المعتز ٣٩٨ ، وزهر الآداب ٥٥٥/١

[الكامل]

اِقْرَ السَّلَامَ عَلَى الْأَمِيْرِ وَقُلْ لَهُ :   إِنَّ الْمُنَادَمَةَ الرَّضَاعُ الثَّانِى [1]

* * *

(١) فى طبقات ابن المعتز ٣٩٩ ، ولباب الآداب ٢/٩٢ : « إن المدام هي الرضاع الثانى » ، وفى المختار ٣٥٦ « إقرا السلام على الأمين ... » ، وجاء بنصه هنا فى ثمار القلوب ٦١٩ وزهـــر الآداب ١/٥٥٦

باب
أخلاق النديم وصفاته

* * *

١٢/و • - / وليس [١] أحدٌ من أصحابِ الملوكِ وخُلَطائِهم هو أَوْلى باسْتِجْمَاعِ محاسِنِ الأَخْلاقِ ، وأفاضِلِ الآدابِ ، وَطَرائِفِ [٢] المُلَحِ ، وغَرائِبِ النتف - من النديم ، حتى إنَّه لَيَحْتَاجُ أن يكونَ فيه أشياءُ مُتَضَادة ، فيكون فيه مع سَرْوِ [٣] الملوك تواضُعُ العبيد ، ومع عَفَافِ النُّسَّاكِ مُجونُ الفُتَّاك ، ومع وَقَارِ الشُّيُوخ مِزَاحُ [٤] الأحْدَاث .

١٢/ظ وكلُّ واحدةٍ / من هذه الخِلالِ هو مضطر إليها في حالٍ لا يَحْسُنُ أن يُخلَّ بها فيها ، ووقت لا يَسَعُه العُدولُ عنها ، وإلى أن يجتمع [٥] له من قُوةِ الخَاطر ما يَفْهم به ضميرَ الرَّئيس الذي يُنادِمه ، على حَسَب ما يَبْلُوه من أخلاقِه ، ويعلم من معاني لَحْظِه وإشارَته ما يُغْنيه عن تَكَلُّفِ عبارته والإفصاح به ، فيسبقه إلى شهوته ، ويَبْدره إلى إرادته ، كما قال بعضُ الكتاب [٦] :

[الخفيف]

١٣/و / وَنَدِيمٍ حُلْوِ الحَدِيثِ يُجَارِيـ ـكَ بِمَا تَشْتَهِيهِ فِي مَيْدَانِكْ [٧]
أَلْمَعِيٍّ كَأَنَّ قَلْبَكَ فِي أَضْـ ـلَاعِهِ أَوْ كَلَامَهُ بِلِسَانِكْ [٨]

---

(١) من هنا إلى ويعلم من معاني لحظه وإشارته ، في المختار من قطب السرور ١٣٦ مع بعض اختلاف .

(٢) في ط « وظرائف » بالظاء المعجمة .

(٣) في م ، ط « شرف » ، والسرو : المروءة والشرف .

(٤) في ظ « مراح » بالراء المهملة .

(٥) في ط « تجتمع » بالمثناة الفوقية .

(٦) القائل هو كشاجم ، انظر التعليق الآتي .

(٧) البيتان في ديوان كشاجم ٣٨٥ ضمن قصيدة طويلة وفيه : « مع نديم ... الذي تشتهيه ... » وفي نهاية الأرب ٤/١٢٧ غير منسوبين .

(٨) في الديوان : « أريحي كأن ... » ؛ وفي نهاية الأرب : « أو كلامه في لسانك » .

• – ومِنْ صفةِ النَّديمِ أن يَجْمعَ إلى الصَّبرِ على مَضضِ الجُوعِ احْتمَالَ كِظَّةِ الازْدِيادِ عَلَى الشِّبَعِ ؛ لأنه مَدفوعٌ إلى مُؤاكلةِ أحدِ رجلين : إمَّا سَخِيّ شديد المَحبَّة لأَن يُؤْكلَ طعامُه ، فيطالبه بالإكثار ، وَمُساعَدته عليه ، ومُساوَاته فيه ، فإذَا فعلَ ذلك حَظِيَ عنده / وَقَرُبَ من قَلْبه بالمُشَاكلة ، فإن قَصَّر أنزلَ ذلك منه على التَّبخيل [١] له ، وتعَمُّد التَّنغيص عليه ، فيكون حَالُه فيه [٢] كحَال مُحمدِ بن عبد الملك الزيات [٣] ، فإنه قال : أُعِينَ عَلَيَّ أحْمدُ بنُ أبى دُؤاد [٤] بأشياء لَمْ أُعَنْ عليه بمِثْلها ، حتى إنَّه أُعِين عَلَيَّ فى تَمكُّن حالِه عند الواثق بأنه كان طيِّبَ الأَكل ، طَحُونَ الضِّرْسِ [٥] ، هضُومَ المعدة ، وكنتُ على خلاف ذلك / فحضرتُه يُؤاكل الواثق ، وليس معهما ثالث ، ودعانى الواثق إلى الطَّعام ، فأَقبلتُ أنقرُ [٦] على حسبِ عادتى ، وخمودِ شهوتى ، وهما يتباريان فى تكْبير اللُّقم ، وجَوْدة الأَكْل ، فلما رأى أحمدُ ذلك مِنِّى قال : يا أمير المؤمنين ، ما جُلوسُ هذا المحتمى معنا

١٣/ظ

١٤/و

---

(١) فى ص « التخيل » وفى ط « التبجيل » واعتمدت ما فى م .

(٢) فى ط سقط « فيه » .

(٣) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبى حمزة الزيات ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن الزيات ، وزر للمعتصم والواثق وكان بينه وبين أحمد بن أبى دؤاد عداوة فأغرى به المتوكل الذى حبسه وعذبه حتى مات وكان أديبًا شاعرًا ، وكان من العقلاء الدهاة . ت ٢٣٣ هـ .

الأغانى ٤٦/٢٣ ، وتاريخ بغداد ٣٤٢/٢ ، والفهرست ١٣٦ ، ووفيات الأعيان ٩٤/٥ ، ومعجم الشعراء ٣٦٥ ، وخزانة الأدب ٤٤٩/١ ، ومروج الذهب ٤٧/٤ و ٨٨ ، والوافى ٣٢/٤ ، والأعلام ٢٤٨/٦ وما فيه من مراجع .

(٤) هو أحمد بن أبى دؤاد بن جرير بن مالك الإيادى ، يكنى أبا عبد الله ، وكان رأس فتنة القول بخلق القرآن ، كان شديد الدهاء محبًا للخير ، اتصل بالمأمون وأخيه المعتصم الذى جعله قاضى قضاته ، وكان الواثق يثق فيه ثقة تامة ، وأصيب بالفالج فى أول عهد المتوكل ، توفى ببغداد عام ٢٤٠ هـ . وفى ط « ابن أبى داود » .

تاريخ بغداد ١٤١/٤ ، ووفيات الأعيان ٨١/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٠٢/٢ ، وثمار القلوب ٢٠٦ ، ومروج الذهب ٩٦/٤ ، والفهرست ٢١٢ ، والأعلام ١٢٤/١ وما فيه من مراجع .

(٥) فى ط « طحون الدرس » .

(٦) فى م و ط « أنفر » بالفاء .

يُحصِى علينا اللُّقم ؟ أمَا أكَلَ كما نأكلُ (١) فوقَّانا (٢) حقَّ المؤاكلةِ ، ولم يحشِّمْنا ، أو نهض ، فتفرَّدَ بمؤاكَلة أمير المؤمنين / مَنْ يُحْسِنُ حضورها ، ويقابلها بما يُشْبِهها ؟ فقال الواثقُ : قد صدَقَ أحمدُ ، فكُل ، أو دَعْ ؛ فما تمالكتُ أن نهضتُ .

١٤/ظ

أو لئيمٌ طعامُه عنده بمنزلةِ سَمْعِه وبَصَرِه ، فإنْ أسرعَ فيه أو تَنَاول أطايبَه ، فكأنّما يأكلُ من جَوَارحِهِ ، فهو مضطر إلى أنْ يُجاهدَ نَفْسَه ، ويغالبَ طباعَه ، حتى يألَف هاتين الحالتين ، ويجرىَ على هاتين العادتين ، فيكون حينئذ أتمَّ فى / آلات (٣) النِّدام ، وأقْهرَ لسلطان الشهوة ممن يعتمد على تقديم الأَكل فى مَنْزله .

١٥/و

● - ويَتَعلل بمثل ما رأيْنا جماعةً (٤) من المُتَرسِّمين بالنِّدام يَستعملونه من اتخاذِ المخازن مملوءَةً أدْهانا فى خِفاف غِلْمانهم ، أو اللفات مُدْرَجة فى المناديلِ إذا أمكنهم ذلك ، فإذا مَصَّهم (٥) الجوعُ ، وشَحَذهم الشَّرابُ تغنَّموا الغَفْلة وانتهزُوا الفُرصةَ ، فتناولُوا مَا أعدُّوا من ذلك فى الخَـلَوات .

● - وربما / كان فى المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة ، وكلُّ ذلك قبيحٌ جدا .

١٥/ظ

● - وفيه أشياءُ مذمومة : منها : أنه لا يُؤْمن أن يطلع عليها بعضُ حاشية المُـنَادم فينهيها إليه فيوغِر بقلبه ، ويُحْفظه ، ويُرى أنه فى ذلك الفعل قد هجاه وبخَّله ؛ لأَنه ليس كلُّ ذى خُلق دنىء يعترف به من نفسه ، بل كثيرٌ من ذوى العيوب يَعْمى عن عيوبه ، أو يتعذر (٦) / المَوْضِع الذى يُؤخذ مثل ذلك فيه فينال جسمُه من الضرر بمفارقة العادة ، وفَقْدِ النَّفْس شيئًا قد تطلَّعت إليه ، وتشوَّفَتْ له إمَّا بعلَّةٍ أو مرض ، أو يُحلِّفه رئيسُه ، ويُقسم عليه ألَّا يأْكل إلا معه ، فيَضْمن له ذلك ، ويعده به ، ثم يخالف (٧) فيكون قد خان ونَكَثَ .

١٦/و

---

(١) فى ص « تأكل » بالمثناة الفوقية واعتمدت ما فى م و ط .

(٢) فى ط « فوافانا » .

(٣) فى ط سقط « آلات » .

(٤) فى ط سقط « جماعة » .

(٥) فى ط « فضهم » .

(٦) فى ط « يعذر » .

(٧) فى م و ط « ويخالف » .

● - وكان عيسى بنُ جعفر الهاشمى [١] يفعلُ هذا مع الرَّشيد كثيرًا ، وكان الرشيد يثلبه [٢] . عليه / ويذمُّه ، ويتكُته [٣] به ، فمِنْ ذلك أنه قال له فى بعض العَشِيَّات وجماعةٍ من جلسائه : قد اشْتهيتُ أنْ آكل فى صُبْحة [٤] غدٍ هَرِيسةً ، وقد تَقدَّمتُ باتخاذها ، ولا يخلط بها غيرها ، فاعملوا على البكورِ ، وأجِمُّوا أنفُسَكم الشَّهوة [٥] ، ووفِّروها على الهريسة ، وكان بعضُهم مُلازمًا لعيسى خصيصًا به ، فحكى أنه غَلَّس إلى منزله ، ولم يكن يُحْجبُ / عنه ، فَأَلْفَى [٦] عيسى جالسًا بين يديه بقيةُ شمعة وطبقٌ كبير عليه طيفوريتان [٧] عظيمتان [٨] : إحداهما مملوءَة [٩] هريسةً ، وفى الأُخرى ثلاث غضارات [١٠] فيهن مُرِّى [١٠] ودارصينى وفلفل ورقاق لطاف لا تَفْضُل عن الكَفِّ ، وهو يأْخذُ الرقاقة فيملؤُها ، ثم يُمِرُّها على تلك الغضارات ، ويَزْدَرِدُهَا ، قال : فقلتُ : يا سبحان الله ! أنَسِيتَ ما اتَّفقتَ [١١] عليه مع أمير المؤمنين ؟ / فقال : لا تعجبْ ، فهذه الطيفورية الثالثة ،

١٦/ظ

١٧/و

١٧/ظ

---

(١) يبدو لى أن المقصود هو عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وهو أخو زبيدة زوجة هارون الرشيد ، وابن عم الرشيد ، وكان من الأمراء الذين تولوا البصرة ، بعثه الرشيد عاملا على عمان فى ستة آلاف مقاتل ، فانهزم وحبس حتى مات فى محبسه ، وفى سنة موته خلاف فقيل ١٨٥ وقيل ١٩٢ هـ .

تاريخ الطبرى جـ ٨ ، والكامل فى التاريخ جـ ٦ فى صفحات كثيرة منهما ، والمعارف ٣٧٩ ، والأعلام ١٠٢/٥

(٢) فى ص « يلبسه » واعتمدت ما فى م و ط .

(٣) فى ص « وينكته » وهو تصحيف واعتمدت ما فى م و ط .

(٤) فى م وط : « صبيحة » . والصبحة : ما تعللت به غدوة .

(٥) فى ط « وأجمعوا الشهوة » .

(٦) فى ط « فألقى » بالقاف .

(٧) الطيفور : طويئر صغير .

(٨) فى ط سقط « عظيمتان » .

(٩) فى ط « أحدهما مملوئة » (كذا) .

(١٠ - ١٠) ما بين الرقمين زيادة من م و ط . والغضارة القطاة ، والمرى - كُدرِّى - إدام يؤتدم به كالكامخ . انظر القاموس واللسان .

(١١) فى ط « اتفقنا » .

فأمسكتُ يده ، وجذبتُ الطبق ، وجَبَرتُه على غَسْلِهَا ، ورَكِبنَا ، فوافَيْنا أميرَ المؤمنين جالسًا على حصيرِ الصلاة حين انْفَتَل [١] من صلاته ، وهو يَسْتَتِمُّ تَسْبيحَه ، ورَوائحُ الهريسةِ قد مَلأَتِ الدَّار ، فقال : أبْطَأْتُـمَا ، ودعا بالطعام ، فأُحضِر ، فاندفع عيسى يأْكُلُ كأنه لم يذقْ شيئًا منذ أيام ، فلم أتَمالكْ أنْ ضحكتُ ، فقال الرشيد : / ما هذا ؟ قلتُ : لأُصدِقَنَّ أميرَ المؤمنين عن خبر عيسى ، قال : إيه ، قلتُ : كان من أمره كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : أتراني شككتُ في أنه يَفْعلها ؟ إعلم أنه لو لم يفعلْها [٢] لأَكلني وأكلك .

١٨/و

• – فأَمَّا العبثُ والمُزَاحُ فله من المُنَادمِ موقعٌ لطيفٌ ومحلٌّ خصيص إذا تَبَيَّـنَ النديمُ منه نشاطًا لذلك .

• – وقال قائلٌ للمأْمون : أيأْذنُ أميرُ المؤمنين في المُدَاعَبةِ ؟ قال : / وهل العَيْشُ إلا فيها ؟!

١٨/ظ

• – وقَدِمَ العَتَّابِي [٣] عليه ، وعنده إسْحاقُ بنُ إبراهيم المَوْصِلي [٤] ، فسلَّم

---

(١) في ط « لنتل » (كذا) . (٢) في م و ط « يفعل » .

(٣) هو كلثوم بن عمرو من ولد عمرو بن كلثوم التغلبي صاحب المعلقة ، وقاتل عمرو بن هند ، يكنى أبا عمرو ، وكان شاعرًا محسنًا ، وكاتبًا في الرسائل مجيدًا ، له ألفاظ تثبت وتدون ، رمي بالزندقة ، فطلبه الرشيد ، ثم عفا عنه ت ٢٢٠ هـ .

الشعر والشعراء ٨٦٣/٢ ، ومعجم الشعراء ٢٤٤ ، والأغاني ١٠٩/١٣ ، وطبقات ابن المعتز ٢٦١ ؛ وتاريخ بغداد ٤٨٨/١٢ ، ومعجم الأدباء ٢٦/١٧ ؛ ومروج الذهب ١٤/٤ ؛ والموشح ٤٤٩ ، والبيان والتبيين في صفحات كثيرة من أجزائه ، والفهرست ١٣٤ ، ووفيات الأعيان ١٢٢/٤ ، وفوات الوفيات ٢١٩/٣ ، والأعلام ٢٣١/٥

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان ... الموصلي ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن النديم ، وكان الرشيد يكنيه أبا صفوان ، كان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وكان من ندماء الخلفاء ، وكان الغناء أصغر علومه ، وأدنى ما يوسم به ؛ وإن كان غلب عليه . ت ٢٣٥ هـ .

الأغاني ٢٦٨/٥ ، والفهرست ١٥٧ ، وطبقات ابن المعتز ٣٥٩ ، وشذرات الذهب ٨٢/٢ ، ووفيات الأعيان ٢٠٢/١ ، وتاريخ بغداد ٣٣٨/٦ ، ومعجم الأدباء ٥/٦ ؛ والوافي ٣٨٨/٨ ، ونزهة الألباء ١٣٢ ، وإنباه الرواة ٢١٥/١ ، والأعلام ٢٩٢/١ .

وَرَدَّ عليه ، وجَلَسَ ، وأَقْبلَ يسأَله عن حاله ، ويُجيبُه بلسانٍ ذَلْقٍ [١] فاستظرفه ، وأخذ معه في مُدَاعبته ، فَظَنَّ الشيخُ أنه قد استَخَفَّ به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الإيْنَاسُ قَبْلَ الإِبْسَاسِ [٢] ، ثم أخذُوا في المُفَاوَضَةِ والحديث .

وأغْرَى المأمونُ إسْحَاقَ بِالْعَبثِ [٣] بالعَتَّابي ، فأَقبل يُعَارِضُه في كل ما يَذكرهُ ، / ويَزيدُ عليه ، فعَجبَ منه ، ثم قال : أيأْذَنُ أميرُ المؤمنين في مَسْأَلةِ هذا الإنسان عَن اسْمِه ونسبِه ؟ قال : افْعَلْ ، فقال له [٤] العَتَّابي : مِمَّن أنت ؟ وَمَا اسْمُكَ ؟ قال : أنا من النَّاس ، واسمي كُلْ بَصَلْ ، فقال العَتَّابي : أمَّا النِّسْبَةُ فمعروفةٌ ، وأمَّا الاسمُ فَمُنكَرٌ [٥] ، وَمَا كُلْ بَصَلْ من الأَسماء ؟ قال إسحاق : مَا أَقَلَّ إنْصَافك ! وَمَا كُلْثُوم من الأَسماء ؟ . البصلُ أطْيبُ من الثُّوْم ، فقال / العَتَّابي : لله دَرُّك ، مَا أرْجَحَكَ ! ما رأيتُ يا أمير المؤمنين كالرَّجل قطُّ ، أفيأَذنُ لي في [٦] صلته بمايوصِل [٧] به أمير المؤمنين ؟ ، فقد والله غلبَني ، فقال المأمونُ : بل هو مُوفَّر عليك ، ونَأْمرُ له بمثله ، ونَهَضَا ، فانصرف إسحاق بالعَتَّابي إلى منزله ، ونادَمَه بقيَّةَ يَوْمِه [٨] .

● - ومِمَّا يَزيدُه في المحَلِّ تَقَدُّمًا ، وعند مَلِكه ورئيسِه تعظيمًا [٩] وتَمكُّنًا أن يكونَ عالمًا بكل ما يَتنافَسُ فيه / : الملوكُ ، ويُغَالون [١٠] فيه من الرَّقيق الثَّمين ،

---

(١) في ص « دلق » بالمهملة وهو تصحيف ، وفي م و ط « طلق » ، وفي الأغاني « ذلق طلق » . والذلق : الطلق .

(٢) انظر هذا المثل في جمهرة الأمثال ١٩٦/١ . الإبساس : الزجر .

(٣) في ط « بالعبت » بالمثناه وهو تصحيف .

(٤) في م و ط سقط « له » .

(٥) في ط « فمنكور » .

(٦) في ط سقط « في » .

(٧) في م و ط « بصله » وهو خطأ .

(٨) انظر القصة في الأغاني ، ووفيات الأعيان ، وفوات الوفيات ، ومروج الذهب في الأجزاء التي سبق ذكرها في ترجمة العتابي .

(٩) في ط « تعظما » .

(١٠) في ط « ويعالون » بالعين المهملة .

والجَوْهَر النَّفِيس ، والآلات المحكمة ، وأنواع الطِّيبِ والفُرُش [١] ، إلى غير ذلك من الخَيْل والسِّلاحِ ، وسَائِرِ مَا يُهْدَى مِثْلُه [٢] إلى المُلُوك فى مَجَالسِ لَذَّاتِهم ، وتُعرضُ عليهم أوقات نَشاطِهم .

• - فَمَنْ أبْرَدُ من النَّديم مجلسًا ، وأكسَفُ [٣] منه بالًا إذا عُرِضَ على المَلِكِ شيءٌ من هذه الأعْلاقِ فاعْتمدَ فيها على معرفته ، واستعانَ على تَخَيُّرِها ببصرِه / ورَجَعَ فى استفادتِهَا إلى نظرِهِ وتلقيه [٤] فلم يُجِزْ جوابًا فى ذلك ، ولم يُحِطْ بشيءٍ منه علمًا . ٢٠/ظ

• - ويُستطرفُ [٥] منه أن يَصفَ اللَّونَ الغريبَ من الطَّبيخِ ، والصوتَ البديعَ ، والشِّعرَ الشَّجِيَّ ، واللحنَ من الغناءِ .

• ورأيْتُ المِلاحَ من أهلِ هذه الطَّبقةِ يقولون : إن من لم [٦] يشْدُ عَشْرةَ أصواتٍ ، ويُحكم من غرائبِ الطبيخ [٧] عشرةَ ألوان لم يكن عندهم ظريفًا كاملًا ، ولا نديمًا جامعًا .

• - / ولفتًى من الكُتَّابِ فى هذا المعنى [٨] ٢١/و

[الطويل]

تَعَالَوْا إِلَى الْخِلِّ الَّذِى لَمْ يَزَلْ بِكُمْ ... يَطُولُ عَلَى الزَّمَانِ [تِيهًا] وَيَشْمَخُ [٩]

فَقَدْ حَصَلَتْ عِنْدِى لكُمْ فَتَعَجَّلُوا ... ثَلَاثُ دَجَاجَاتٍ سِمَانٍ وَأَفْرُخُ

---

(١) فى ط « والفراش » .

(٢) فى ط « منه » بدل « مثله » .

(٣) فى م « أو أكسف » .

(٤) فى ص « وتلقيه » واعتمدت ما فى م و ط .

(٥) فى م و ط « ويستظرف » بالظاء المعجمة .

(٦) فى ص « إن لمن لم يتشد » ، وفى ط « إن من ينشد » ، واعتمدت ما فى م .

(٧) فى ط « البطيخ » .

(٨) لم أعرف القائل .

(٩) فى ص و ط « يطول على الزمان ويشمخ » ، وأصلحته بما ترى ، وفى م « يطول على ريب الزمان » . ويبدو أن مصحح م زاد « ريب » ليتم الوزن ، ولكن الأحسن ما ذكرته .

وَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَمِسْكٌ وَعَنْبَرٌ نُبَخَّرُ أَحْيَانًا بِهِ وَنُضَمَّخُ
وَمُسْمِعَةٌ كَالْبَدْرِ تَشْدُو بِصَارِخٍ تَهَاوَى الْقُلُوبُ نَحْوَهُ حِيْنَ يَصْرُخُ [(١)]
وَهَا أَنَـذَا طَبَّاخُكُمْ وَلَرُبَّمَا رَأَيْتُ ظَرِيْفَ الْقَوْمِ يَشْدُو وَيَطْبُخُ [(٢)]
سِوَى أَنَّهُ لَا تَقْطَعُ اللَّحْمَ كَفُّهُ وَلَا هُوَ إِنْ لَمْ تُوقَدِ النَّارُ يَنْفُخُ
/ وَإِنِّي لَأَسْتَخْذِي لأَهْلِ مَوَدَّتِي وَأُزْهَى عَلَى أَهْلِ الْمَعَالِي وَأَبْذَخُ ٢١/ظ

• - وَلَا يستحقُّ النَّديمُ هذا الاسمَ حتى يكونَ لهُ جمالٌ ومروءةٌ ، أمَّا جمالُه فنظافَةُ ثَوْبِهِ ، وطيبُ رائحته ، وفَصَاحَةُ لسانه ، وأمَّا مروءتُه فكثْرَةُ حَيَائِه في انبساطٍ إلى جَميل ، ووقارُ مَجْلِسِهِ مع طلاقَةِ وَجْهِهِ في غير سخفٍ ، ولا يَسْتكملُ المروءةَ حتى يَسْلُوَ عن اللَّذةِ [(٣)] .

• - وقيل للعَتَّابِي : / ما المروءةُ . قال : تَرْكُ اللَّذَّةِ ، قيل له : فما اللَّذَّةُ ؟ قال : تَرْكُ المرُوءةِ . ٢٢/و

* * *

(١) في ط « يشدو » بالمثناة التحتية ، وفي م ، ط « تهادى القلوب » .

(٢) في م « وها أنا ذا » وهي صورة توقع في خطأ الوزن .

(٣) انظر هذا في المختار من قطب السرور ١٣٦ مع بعض اختلاف .

باب
التَّدَاعِي للمُنادمة

* * *

• - قَدْ آثر بعضُ الظُّرفاءِ من إسْقاطِ التَّصنُّع في هذا الباب ما هو أَلْيَقُ بالمؤَانسةِ ، وأَنْفَى للانقباضِ والحِشْمةِ ، ولو لم يكن في الاحتفالِ من النَّقيصةِ والاقتضابِ من الفضيلة إلا أن المحْتَفِلَ قد ضيَّق / العذرَ على نفسه في تَقْصيرٍ إن كان منه ، والمقتضبَ مُغْتفر له ذلك لكفى به .

٢٢/ظ

• - ورُوِيَ أن رَجلًا دعا أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام ، فقال : آتيك على أن لا تَدَّخِر عنا ما عندك ، ولا تَتَكلَّف لنا ما ليس في وُسْعِك [١] .

• - وقال المأمون لجَعْفَرَ بنِ سليمانَ [٢] : الطِّيبُ والطَّعَامُ لا يَزِيدُ [٣] في جودتهما كثرةُ الإنفاقِ عليهما / ولكنْ إصابةُ المَعْنى [٤] .

٢٣/و

• - وكتبَ إليَّ صديقٌ لي [٥] :

---

(١) انظر هذا في البيان والتبيين ١٩٧/٢ ، وعيون الأخبار ٢٣١/٣ ، ونثر الدر ٢٧٣/١ ، والمختار من قطب السرور ٣٦٢ ، وجاء بصورة أخرى في المحاضرات ٦٥٠/٢/١ و ٦٥١

(٢) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا عبد الله ، ولي البصرة والمدينة المنورة ، وفي أثناء ولايته المدينة المنورة سُعي عنده بالإمام مالك بن أنس ، فدعا به وضربه بالسياط وارتكب معه أمرًا عظيمًا ، وكان حاقدًا على أخيه محمد بن سليمان ويسعى به عند الرشيد . ت ١٧٧ هـ .

المعارف ٣٧٦ و ٤٩٩ ، والكامل في التاريخ جـ ٥ و ٦ في صفحات كثيرة منهمـا وبخاصة ١١٩/٦ و ١٤٠ ، والبيان والتبيين في مواضع كثيرة وعيون الأخبار كذلك .

(٣) في ط « لا يزيدني » .

(٤) جاء ما يقرب من هذا القول في البيان والتبيين ٢٢٧/١ منسوبًا إلى جعفر بن سليمان ، وهو « ليس طيب الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل ، وإنما الشأن في إصابة القدر » ، وقريب منه في عيون الأخبار ١٩٩/٣

(٥) لم أعرف القائل .

[الخفيف]

قُمْ بِنَا نَقْتَضِبْ صَبُوحًا مَلِيحًا ... يُسْعِدُ اللهُ لِى بِكَ الْيَوْمَ جَدِّى (١)

لَمْ أَبِتْ لَهُ اعْتِزَامًا وَلَا قُلْـ ... ـتُ غَدًا كُنْ - فَدَتْكَ نَفْسِى عِنْدِى

فَهْوَ طِيبًا وَمَوْقِعًا كَحَبِيبٍ ... جَاءَنِى زَائِرًا عَلَى غَيْرِ وَعْدِ

● - وحدثنى بعضُ شيوخِنا عمَّن حَدَّثه أن ظريفًا (٢) من الكتاب أحْسبه الحسنَ بنَ سَهْل (٣) بلغَهُ أنَّ عبدَ الله بنَ يَزِيد (٤) عشيق أبى تَمَّام الطَّائى (٥) الذى يقول فيه :

---

(١) فى م « تسعد » بنقطتين فوق وتحت الحرف « كذا » .

(٢) فى ص « طريفا » وهو تصحيف ، واعتمدت ما فى ط .

(٣) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسى ، يكنى أبا محمد ، كان وزيرًا للمأمون ، ووالد زوجته بوران ، وهو أخو الفضل بن سهل ، وكانا من أهل بيت الرياسة فى المجوس ، وأسلما مع أبيهما سهل زمن الرشيد ، ت ٢٣٦ هـ .

تاريخ بغداد ٣١٩/٧ ، ووفيات الأعيان ١٢٠/١ ، والوزراء والكتاب فى صفحات كثيرة ، والفخرى فى الآداب السلطانية ٢٢٢ ، وصفـــحات أخرى منه ، والوافى ٣٧/١٢ ، وشذرات الذهب ٨٦/٢ ، والأعلام ١٩٢/٢

(٤) هو عبد الله بن يزيد بن المهلب الطرهبانى من أهل الأنبار ، وهو كاتب أبى سعيد الثغرى ، ثم كتب بعده لابنه يوسف .

أخبار أبى تمام ٢٦٥ ولم أعثر له على ترجمة أخرى . وفى الديوان ٢٠٠/٤ اكتفى بذكر أنه عبد الله الكاتب .

(٥) هو حبيب بن أوس الطائى ، ولد بجاسم من أعمال دمشق ، ونشأ بمصر ، يكنى أبا تمام ، واشتهر بكنيته ، وهو صاحب صنعة ، دقيق المعانى ، غواص على ما يستصعب منها ، ويعسر متناوله على غيره ت ٢٢٨ أو ٢٣١ أو ٢٣٢ هـ .

الأغانى ٣٨٣/١٦ ، وطبقات ابن المعتز ٢٨٢ ، وتاريخ بغداد ٢٤٨/٨ ، ووفيات الأعيان ١١/٢ ، وشذرات الذهب ٧٢/٢ ، والموشح ٤٦٤ ، وسمط اللآلى ٤٢٥/١ ، والفهرست ١٩٠ ، ومروج الذهب ٦٨/٤ ، وحسن المحاضرة ٥٥٩/١ ، ومعاهد التنصيص ٣٨/١ ، وخزانة الأدب ٣٥٦/١ ، والوافى ٢٩٢/١١ ، وأخبار أبى تمام ، والموازنة ، والأعلام ١٦٥/٢

[الخفيف]

٢٣/ظ / يَاسَمِيَّ النَّبِيِّ فِي سُورَةِ الْجِنْـ ـنِ وَيَا ثَانِيَ الْوُلَاةِ بِمِصْرِ [١]

احتفَلَ لدعوةٍ دعاهَا احتفالًا شديدًا ،وتعمَّل لها حتى اشْتهرَ أمرها قبل وُقُوعها ، فكتبَ إليه : أمَا ارتفعتَ عن تَثْبيتِ [٢] الدَّعَواتِ بَعْد ؟

● – ودعا محمدَ بنَ عبدِ الله بنِ طاهر [٣] رَجُلٌ من أصحابه دعوةً تقدَّم فيها ، فاحتفَلَ لها ، فلما حَضَرَ محمدٌ طَالَبَه بالطَّعام ، فمَطَله [٤] ؛ ليتكاملَ ويَتلاحقَ على ما أحَبَّهُ من الكَثْرة / والحفلة حتى تصرَّمَ أكثرُ النهار ، ومسَّ مُحمدًا الجوعُ ، فتنغَّصَ عليه يومُه . ٢٤/و

وأراد محمدٌ سفرًا [٥] فشيَّعه هذا [٦] الرجل حتى إذا دنا منه ليودعَه قال له ، أيأْمُر الأَميرُ بشيءٍ ؟ قال : نعم ، تجعلُ طريقَكَ في عودتِك عَلَى محمدِ بنِ الْحَارِثِ ابنِ شخير [٧] فاسأله أن يعلِّمكَ الفُتُوَّة ، فمضى حتى دخلَ إلى محمدٍ بَغْتَةً ، فقال له : بعثني إليك الأَميرُ لتعلِّمني الفتوة ، فضحك ، وقال :يا غلامُ ، هات / ما حضرَ فأُتيَ بطبق كبير عليه ثلاثةُ أرغفةٍ من أنظف الخبْزِ وأنقاه وسكرجات [٨] مُرِّيٍ وخَلٍّ وملح من أجود ما يُتَّخذ من هذه الأَصناف ، وابتدأ يأْكل فجاءته [٩] فُضَيْلَةٌ باردة ٢٤/ظ

---

(١) البيت في ديوانه ٤/٢٠٠ ، وأخبار أبي تمام ٢٦٥

(٢) في م و ط « تنبيت » .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، يكنى أبا العباس ، كان جوادا ممدحًا أديبًا شاعرًا مألفا لأهل الفضل والأدب ، وقد ولي إمارة بغداد في خلافة المتوكل . ت ٢٥٣ هـ .

تاريخ بغداد ٥/٤١٨ ، ومعجم الشعراء ٣٨٣ ، والوافي ٣/٣٠٤ ، ووفيات الأعيان ٥/٩٢ ، وفوات الوفيات ٣/٤٠٣ ، والنجوم الزاهرة ٢/٣٤٠ ، وكتب التاريخ في أحداث عامي ٢٥١ و ٢٥٢

(٤) في ط « فماطله » .

(٥) في ط « سفراً » .

(٦) في ص « بهذا » واعتمدت ما في م و ط .

(٧) لم أعثر له على ترجمة .

(٨) سكرجات : مفرده سكرجة : إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم وهي فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها . انظر اللسان .

(٩) في ط سقط قوله : « فجاءته » .

من مطبخه ، وتداركها الطَّباخ بطباهجةٍ ، ووافاه من منزل حرمه فُضَيْلةٌ أُخرى ، وأهدى له بعضُ غلمانه جام حلواء ، فانتظم له خفيفٌ ظريف في زمانٍ يسير ، وبغير احتشامٍ / وانتظار . ٢٥/و

● - وسمعتُ بعضَ الأغنياء يَعْتَذِرُ [١] من تَرْكِ التَّحفُّل بعذرٍ ما حَسُن الاعتذار قطّ إلا من مثله ، وذاك أنه قال : ما يمنعني من الاحتفال إلا الاستظهار ، فقلتُ له : وكيف ذلك ؟ قال أكرهُ أن أحتفل فيتأخر عني مَنْ أدعوه إمَّا عن عمدٍ أوعائقٍ فأكون قد تكلَّفتُ ما لم يُنْتفَع به ، فقال في ذلك بعض إخوانه [٢] :

[المتقارب]

/ إذا كُنْتَ لَا تَدَعُ الْإِحْتِفَا ... لَ إِلَّا لِأَنَّـكَ تَـسْتَـظْـهِـرُ [٣] ٢٥/ظ

فَـلَا تَـدْعُـوَنْ أَحَـدًا بَـتَّـةً ... فَـهَـذَا هُـوَ الـنَّـظَـرُ الْأَوْفَـرُ

وَلَا سِيَّمَا أَنَا مِنْ بَيْنِهِمْ ... فَإِنِّي - وَحَقِّكَ - لَا أَحْضُرُ

● - وكان آخر لا يَشْرعُ في شيءٍ من آلةِ الدَّعوة حتى يحضرَ إخوانُه ، ويأمنَ تأخُّرَهم ، فحينئذ يأمر بإصلاح ما يُحتاجُ إليه على مقدارٍ قد عَرَفَه ، فلا يلحق طعامه حتى يتصرمَ يومُهم ، وتضطرمَ نارُ / الجوع في أحشائهم ، فقال فيه بعضُهم [٤] : ٢٦/و

[البسيط]

خَافَ الضَّيَاعَ عَلَى شَيْءٍ يُعَجِّلُهُ ... مِنَ الْمَطَاعِمِ إِنْ إِخْوَانُهُ ثَقُلُوا [٥]

وَلَيْسَ تَغْلُو عَلَى الْكَانُونِ بُرْمَتُهُ ... حَتَّى يَرَى أَنَّهُمْ فِي الْبَيْتِ قَدْ حَصَلُو [٦]

---

(١) في ط « يعتذرون » . (٢) لم أعرف القائل .

(٣) في ط « لا نوع » .

(٤) البيتان في محاضرات الأدباء ٢/٦٥٩ غير منسوبين أيضًا .

(٥) في المحاضرات « من المآكل إن أصحابه ثقلوا » ، وفي ص « ثقلو » بدون ألف ، وفي م « إذ إخوانه » .

(٦) في المحاضرات جاء البيت هكذا :

فما يقل على العجلان برمته ... حتى يرى أنهم في الدار قد حصلوا

وفي ص « حصلو » بدون ألف ، وفي م « فليس » . والبُرمة : قِدْرٌ من حجارة ، انظر اللسان .

• – وخبرني بعضُ مَنْ أثق بِصدْقِهِ [١] عن بعضِ البخلاء أنه دعا قومًا فابتاع لهم جديًا ، وأشْفقَ من أنْ يذبحَهُ فلا يَحْضُرُوا فيخسر [٢] الجدى ، فنوَّرَهُ وعمل على أنهم إن حضروا ذبحه ، وأحضره كهيئةِ المسْمُوطِ ، وإن تأخروا / استحياه ولم يذبحْه . ٢٦/ظ

• – وليس هؤلاء بإفراطهم فى هذا الاستظهارِ القبيح ، والنظرِ الرقيق – بأذمَّ ممن [٣] يُدعى فيجيب ، ويحصل ذلك على نفسه ، ويوثق منه بالوفاء [٤] ، ثم يَتثَاقَل عن الدَّاعى الملهوفِ حتى يُجيعَه ، ويجيعَ إخوانَه ، ويَثْلَم عليه عُمْره ، ويبرّد عليه طعامه ، ويردد غلمانه ، ويطيل التشوق إليه ، فجزاء [٥] هذا عندى بعد الاستظهار عليه بالحُجَّة / وإعادة الغلام إليه بالرسالة أن يستأْثِر إخوانه بالمؤاكلة دونه ، متعمدين بذلك الاستخفاف به ؛ ليؤدبوه إن كانت به مسكَةٌ ، وينبهوه إن كانت له فِطنة . ٢٧/و

• – وقد جاء فى الخبَرِ المأْثورِ فى إجابةِ الدَّعوة ، وترْكِ التأخر عنها ما جَرى مَجْرَى الفَرْضِ الواجب ، وهو قولُ النبيِّ عليه السلام [٦] : « مَنْ دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَأْكُلْ ، وَإِنْ كَانَ / صَائِمًا فَلْيُصَلِّ » . ٢٧/ظ

والصلاة هاهنا الدعاء مثل قــوله [تعالى] : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [سورة التوبة : ٨٤] . أى لا تَدْعُ لهم ، ولا تَتَرَحَّمْ عليهم .

فإذا كان الصائم قد أُمِرَ بالحضورِ ، فكيف بالمفطر ومن قد أجاب ؟!

• – وَنَالَنِي ذلك من فتى تَيَّاهٍ فكتبتُ إليه [٧] :

---

(١) فى ص « وخبرنى من أثق إليه » ثم كتب فوق « أثق » كلمة « بصدقه » ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما فى م و ط . وانظر قصة مشابهة فى المحاضرات ٦٥٩/٢/١

(٢) فى ص « فتحسن الجدى » ، واعتمدت ما فى ط .

(٣) فى ص « بأذم من يدعى » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٤) فى م و ط « بالوفاء به » .

(٥) فى ص « فجزاؤه هذا ... » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٦) غريب الحديث لابن سلام ١٧٧/١ و ١٧٨ وانظره فى المحاضــرات ٦٤١/٢/١ ، ونثر الدر ١٩٩/١

(٧) ديوان كشاجم ١٨٣ ، ١٨٤ ، وانظر المحاضرات ٦٤٤/٢/١

[المتقارب]

تَأَخَّرْتَ حَتَّى كَدَدْتَ الرَّسُولَ ... وَحَتَّى سَئِمْتُ مِنَ الْإِنْتِظَارِ [١]

وَأَوْحَشْتَ إِخْوَانَكَ الْمُسْعِدِيْنَ ... وَفَجَّعْتَهُمْ بِشَبَابِ النَّهَارِ

/ وَأَضْرَمْتَ لِلْجُوعِ أَحْشَاءَهُمْ ... بِنَارٍ تَزِيْدُ عَلَى كُلِّ نَارِ [٢] ٢٨/و

فَإِنْ كُنْتَ تَأْمُلُ أَلَّا تُسَبَّ ... فَأَنْتَ - وَحَقِّكَ - عَيْنُ الْحِمَارِ [٣]

• - وكان يُقال [٤] : ثلاثةٌ تُضْنِي : سراجٌ لا يُضيءُ ، ورسولٌ بطيءٌ ، ومائدةٌ ينتظر بها من يجيء .

• - وقال آخر [٥] : المودَّةُ شجرةٌ ثمرتُها الزِّيارة .

• - وقال آخر : المودَّةُ روحٌ ، والزيارة شَخْصُها .

• - وكتبتُ إلى صديق لي دعوتُه فَتَثَاقَلَ عنّي ، واعتلَّ بعارضِ عِلَّةٍ [٦] :

[مجزوء الرمل]

/ بِأَبِي أَنْتَ تَبَاغَضْـ ... ـتَ وَمَا كُنْتَ بَغِيْضَا ٢٨/ظ

جَاءَنِي مِنْكَ جَوَابٌ ... كَانَ لِلْعَهْدِ نَقِيْضَا

أَنْتَ لَمْ تَمْرَضْ وَلَكِنْ ... أَحْسَبُ الْوُدَّ مَرِيْضَا

وَلَقَدْ فَاتَكَ لَهْوٌ ... لَسْتَ مِنْهُ مُسْتَعِيضَا

وَمُدَامٌ شَاكَلَتْ فِي الْـ ... ـكَأْسِ يَاقُوتًا فَضِيْضَا [٧]

وَحَدِيْثٌ وَنَشِيْدٌ ... شَابَ نَحْوًا وعَرُوضَا

---

(١) في ص كتب الناسخ فوق التاء من « تأخرت » « نا » ، ولا أدري الغرض منه .

(٢) في الديوان « وأحرقت بالجوع » ، وهو ساقط من ط .

(٣) في الديوان « تأمل ألا تذم » .

(٤) في المختار ٧٩ و ٣٦٢

(٥) في المختار ٣٦٢

(٦) ديوان كشاجم ٢٣٥

(٧) في الديوان « رضيضًا » .

وفي م و ط « نضيضًا » . والفضيض : المتفرق من ماء المطر والبرد . انظر القاموس واللسان .

وَغَـرِيْــضٌ مِـنْ غِـنَـاءٍ فَاقَ فِي الحُسْنِ الغَرِيْضَا [٨]

٢٩/و • - / وكتبتُ إلى آخرَ [٢] :

[الوافر]

كَتَبْتُ وَعِنْدَنَا رَوْحٌ وَرَاحُ وَإِخْوَانٌ تُحِبُّهُمْ مِلَاحُ [٣]

وَبَيْضَاءُ السَّوَالِفِ ذَاتُ عُودٍ يُنَاغِيهَا ثَمَانِيَةٌ فِصَاحُ [٤]

وَأَحْوَرُ مِنْ ظِبَاءِ الرُّومِ سَاقٍ كَغُصْنِ الْبَانِ تَثْنِيهِ الرِّيَاحُ

بَدِيعُ مَلَاحَةٍ يُدْعَى نَجَاحًا وَلَكِنْ مَا لِمَوْعِدِهِ نَجَاحُ

لَهُ طُرَرٌ تُصَفُّ عَلَى جَبِينٍ كَمِثْلِ اللَّيْلِ قَابَلَهُ الصَّبَاحُ

تَحَلَّى بِالْمَنَاطِقِ وَهْوَ مِمَّنْ يَلِيقُ بِهِ الْقَلَائِدُ وَالْوِشَاحُ

٢٩/ظ / وَسَاطِعَةُ الشُّعَاعِ رُضَابُ نَحْلٍ حَلَالُ الشُّرْبِ لَيْسَ بِهَا جُنَاحُ

وَلِلْوَسْمِيِّ بِالْقَطْرِ ابْتِدَارٌ وَلِلشُّرْبِ ابْتِهَاجٌ وَارْتِيَاحُ

شَرَابُهُمُ سُرُورٌ وَادِّكَارٌ وَشَدْوُهُمُ اخْتِيَارٌ وَاقْتِرَاحُ [٥]

وَبَيْنَ الضَّرْبِ وَالْأَوْتَارِ حَرْبٌ وَبَيْنَ النَّايِ وَالرَّاحِ اصْطِلَاحُ [٦]

فَزُرْنَا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ تَزُرْنَا بِزَوْرَتِكَ الْمَكَارِمُ وَالسَّمَاحُ

---

(١) جاء في الديوان أربعة أبيات بعد هذا هي :

لو رأتْ عيناكَ مِنْ صا جبِهِ طرفًا غضيضَا

وثَنَايَا واضحاتٍ كبنَاتِ الدُّرِّ بيضَا

كدتَ من شدَّة شوقٍ وافتتانٍ أن تبيضَا

ولوَ أن اللَّحدَ وارا كَ لأسرعتَ النهوضَا

(٢) ديوان كشاجم ٨٩ - ٩١

(٣) في الديوان « وعندنا ورد » ، « وإخوان نحبهم » بالنون .

(٤) في الديوان « تناغيها مثالثه الفصاح » .

(٥) في م « اختبار » بالموحدة التحتية .

(٦) في الديوان جاء البيت هكذا :

وبين الزِّيرِ والمضرابِ حربٌ وبين الماءِ والرَّاحِ اصطلاحُ

• - ومرَّ بعضُ النَّبيذيِّين بجدْي سمينٍ فقال : ليت شِعْرِى لِغِلْمَانٍ مَنْ هذا ؟ فسُئِل عن معني قولِهِ ، فقال : يُؤَخِّرُ / أصحابُنَا الجدىَ فلا نصل إليه [1] وفينا فضل له ، ويفوز الغلمان به . ٣٠/و

• - وخُبِّرْتُ أن بعضَ المتقدمين كان يَذكر ما يصنعُ لإخوانه من الطعام في رُقْعَةٍ ، ويعرض عليهم ، فمن استطاب لونًا حَبَسَ نفسه عليه .

• - وَرُوِىَ أن زِيادًا [2] كان يقول : ما انفردتُ برغيفٍ قطّ حتى يشركنى فيه غيرى ، ولا أكلتُ طعامًا قطّ إلا بشهوة مَنْ يكون معى / وأنا أرى إن بغتنى الزور وفاجأنى الصديقُ أن أُشافِهه بوصف شىء إن كنتُ تقدمتُ بإصلاحه وإن قلّ ، وأُشهِّيه ، ولا أحتشم أن أقترحَ متعذرًا أنْ أُونِسه [3] ، وأقترحُ في منزل صديقى ، ولا أَسُومُهُ مَا أعلمُ أن حاله لا يحتمله [4] . فإن استدعيتُ من الطَّباخ شيئًا عرَّفته بالألف واللام ، ولم أجعله نكرةً كما يُحكى عن بعض المتكبرين من المموّهين . ٣٠/ظ

• - / ودعا قومًا فقال لغلامه في آخر طعامه : هات حلواء [5] إن كان عندك ، فقال له الغلام - وكان عليه مُدِلًّا - : ما عندى إلا الفالوذج الذى عقدتَهُ بيدك . ٣١/و

• - ودعا رجلٌ رجلًا فقال له : هل لك أن تَصيْرَ معى إلى المنزلِ فتأْكل خبزًا وملحًا ، وظنَّ [6] الرجلُ ذلك القولَ منه على المجاز ، فمضى معه ، فلم يزده على الخبزِ والملح شيئًا ، فبيناهما يأْكلان إذْ وقف سائِلٌ بالباب فَرَدَّه / صاحبُ المنزل ٣١/ظ

---

(١) في ص « إليها » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٢) هو زياد بن أبي سفيان ، يكني أبا المغيرة ، وأمه سمية ، ولد عام الفتح ، وكان مع على بن أبي‌طالب رضى الله عنه ، ثم لحق بمعاوية لما ألحقه بنسب أبيه . ت ٣٥ هـ .

المعارف ٣٤٦ ، وفوات الوفيات ٣١/٢ ، وانظر كتب التاريخ ، وله أقوال كثيرة في البيان والتبيين .

(٣) في ص « أويسه » ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في م و ط .

(٤) في ط « لا يحقله » .

(٥) في م و ط « حلوا » .

(٦) في م و ط « فظن » .

مرارًا ، فلم يبرح ، وألَحّ ، فقال له : إن [١] انصرفتَ وإلا خرجتُ إليك فهتمتُ فاك ، قال : فقال له المدعو : يا هذا انصرف : فإنك لو عَرفتَ من صِدْقي وعيده ما قد عرفتُ من صِدْقِ وَعْدِه ما تعرَّضتَ له [٢] .

* * *

باب
الشَّرْب وكَثْرتهم وقِلَّتهم

* * *

٣٢/و

• - فَأَمَّا كثرةُ عددِ الشَّرب وقِلَّتهم فهم يُسمُّون / الاثنين منشارًا ، ويَكْرَهُونهما ، وكان الثلاثةُ أتمَّ مجلسًا ؛ لأن الاثنين ينهضُ أحدُهما لبعض شأنه فَيَجِمُ الآخر ، وينفردُ ، وربما [١] عَرَض له الفكرُ فلا يكون لجنْبيه [٢] مِنْ تخلُّفه في مؤانسةٍ [٣] ، وليس كذلك أمر الثلاثة .

• - وعندى الأربعةُ أحسن ؛ لأن الثلاثةَ إذا اشْتَغَل الاثنان بالحديث لا يَعرفُ الثالثُ سببَه وابتداءَه يحتشمُ [٤] لا مَحَالة ، ويمقتُ نَفْسه ، والأَربعة [٥] يتكافئون فهم أركان المجلس .

٣٢/ظ

• - وفي الأربعة [٥] / يقول بعضُ الكُتَّاب [٦] :

[الرجز]

ثَلاثَةٌ أصْفَيْتُهُمْ هَوَائِى كَأَنَّهُمْ كَوَاكِبُ الجَوْزَاءِ
عُطَارِدِيُّونَ يَروْنَ رَائِى كَأَنَّمَا هَوَاؤُهُمْ هَوَائِى [٧]

وإنما ذكر [٨] ثلاثة هو رابعهم [٩] .

---

(١) فى م « وربما » بالمثناة التحتية ، وهو تصحيف مطبعى .

(٢) فى ط « لحسبه » .

(٣) فى ص « مؤانسه » بالهاء ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٤) فى ط « تحشم » .

(٥ - ٥) ما بين الرقمين زيادة من م و ط يتم بها القول .

(٦) لم أعرف القائل .

(٧) فى ط « ترون رائى » ، « هواهم » .

(٨) فى ص « ذكرنا » .

(٩) فى ص كتب تحت « رابعهم » كلمة « كلبهم » .

● - وقال آخرُ فى الثَّلاثةِ [١]

[البسيط]

ثَلاثَةٌ جُمِعُوا لِى فِى ثَلاثِ مِنى ... وَكُنْتُ رَابِعَهُمْ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ [٢]

● - وقال آخرُ فى الثَّلاثة [٣] :

[الطويل]

إخَالُكَ تَدْعُونَا إذَا مَا دَعَوْتَنَا ... دُعَاءَ يَهُودٍ مُسْبِتِيْنَ عَلَى نَهْرِ [٤]

٣٣/و / فَلَا خَيْرَ فِى النَّدْمَانِ إلَّا ثَلاثَةٌ ... سَوَاءٌ كَأَمْثَالِ الأَثَافِى مِنَ الْقِدْرِ

● - وقال آخرُ فى وَصْفِ النَّدَامَى من وَاحِدٍ إلَى سَبْعَة : [٥]

[الكامل]

إنَّ الْمُعَاقِرَ كَأْسَهُ مُتَفَرِّدًا ... مِنْ صَحْبِهِ نَحْسٌ لَئِيمٌ أَرْجَسُ

وَاثْنَانِ يَشْتَدُّ النَّدَامُ عَلَيْهِمَا ... وَثَلَاثَةٌ بِهِمْ يَطِيبُ الْمَجْلِسُ [٦]

وَلَقَدْ يَلَذُّ حَدِيثُ أَرْبَعَةٍ لَهُمْ ... فَيَطِيبُ مَجْلِسُهُمْ مَعًا وَالأَنْفُسُ [٧]

وَالْغَايَةُ الْقُصْوَى أَرَاهَا خَمْسَةٌ ... فِى دُورِهِمْ نَفَسٌ لِمَنْ يَتَنَفَّسُ

٣٣/ظ / وَإِذَا هُمُ كَثُرُوا فَصَارُوا سِتَّةً ... عَطِشُوا لِحَبْسِ الْكَأْسِ سَاعَةَ يُحْبَسُ

وَإِذَا تَجَمَّعَ سَبْعَةٌ فِى مَجْلِسٍ ... سَنَحَتْ لَهُمْ دُونَ السُّعُودِ الأَنْحُسُ

وَظَلِلْتَ فِى سُوقِ الْمِرَاءِ مُعَسْكِرًا ... وَتَرَى حُلُومَهُمُ بِجَهْلٍ تُخْلَسُ

● - ويتجوَّز المعاشرون فى الطعامِ ، ولا يتحملون كَدَرَ الشرابِ وغلَظَه ، ويسيرُ الرائقِ الجيد من الشراب يعفى على مُقَصِّرِ الطعام ، والكثير من غليظِ [٨]

---

(١) لم أعرف القائل .

(٢) فى ط « جمعوا إلى فى ثلاثة منى » (كذا) .

(٣) لم أعرف القائل .

(٤) فى ص « مسبيين » بدل « مسبتين » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٥) لم أعرف القائل .

(٦) فى م « يشتد » بنقطتين فوق وتحت الحرف الأول [كذا] .

(٧) فى ص « ولقد تلذ » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٨) فى ط « ومكثير من غلظ » ولا معنى له .

الشراب يُفسد كل ما يُولغ (١) فيه من شريف الطعامِ ، وزمان المشاربةِ / أطول من زمان المؤاكلة . ٣٤/و

● - وقال الحسنُ بن هانيء في مدح رائق الشرابِ وذمِّ غليظِهِ (٢) :

[الخفيف]

مِنْ شَرَابٍ كَأَنَّهُ نَظَـرُ الْمَعْـ ـشُوقِ فِي وَجْهِ عَاشِقٍ بِابْتِسَامِ (٣)

لَا غَلِيـظٌ تَنْبو الطَّبِيـعَةُ عَنْهُ نَبْوَةَ السَّمْعِ عَنْ شَنِيـعِ الْكَلَامِ

● - وقال الوليد بن عبيد البحترى (٤) :

[المتقارب]

تَـرَكْـتَ مُـشَـمَّـسَ قُـطْـرُبُّـلٍ وَجَـرَّعْـتَـنَا دَقَـلَ الـدَّسْـكَـرَةْ (٥)

/ إِذَا صُبَّ مُسْوَدُّهُ فِي الْإِنَاءِ فَكَـأْسُ الـنَّـدِيْـمِ بِـهِ مِـخْـبَـرَةْ (٦) ٣٤/ظ

● - وقال على بن العباس الرومى (٧) :

---

(١) فى ط « كل ما يولع » ، وفى م « يولغ » وهو تصحيف فى الحالتين .

(٢) ديوان أبى نواس ٦٩

(٣) فى الديوان « من شراب ألذ من نظر ... » ، وفى ط « كأنه نظرًا » (كذا) .

(٤) هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد البحترى الطائى ، يكنى أبا عبادة ، واسمه فى الأغانى ومعجم الأدباء : الوليد بن عبيد الله ، تتلمذ على أبى تمام ، وكان يعترف بفضل أستاذه عليه ، إلا أن طريقته تخالف عن طريقة أستاذه ، فهو يلتزم عمود الشعر كما يقول النقاد ، بينما يخرج عليه أستاذه ، وقد اختلف الناس - وما يزالون - فى شاعرية كل منهما ت ٢٨٤ هـ .

الأغانى ٣٧/٢١ ، وطبقات ابن المعتز ٣٩٣ ، ومعجـــــم الأدباء ٤٨/١٩ ، وتاريخ بغداد ٤٤٦/١٢، والفهرست ١٩٠ ، والموشح ٥٠٥ ، ومعاهد التنصيص ٢٣٤/١ ، ووفيات الأعيان ٢١/٦، وسمط اللآلى ٢٧٩/١ ، ٤٢٧ ، ومسائل الانتقاد ١٤٢ ، والشذرات ١٨٦/٢ ، وأخبار أبى تمام والموازنة ، وديوانه والأعلام ١٢١/٨

(٥) ديوان البحترى ٨٩٩/٢ ضمن قصيدة يهجو فيها ابن رياح أحمد بن إبراهيم ، وفى الديوان جاء البيت الثانى قبل الأول .

قطربل : قرية اشتهرت بكثرة حانات الخمر . انظرها فى معجم البلدان .

والدقل : ردىء التمر . والدسكرة : بناء يشبه القصر تكون حوله بيوت ، ويكون هذا للملوك .

(٦) فى الديوان : « فى الزجاج » بدل « فى الإناء » ، وفى ط « مسودة » بالتاء وهو تصحيف .

(٧) هو على بن العباس بن جريج ، يكنى أبا الحسن ، وهو أشعر أهل زمانه بعد البحترى ، وهو =

[الخفيف]

عَلَّنِى أحْمَدُ مِنَ الدُّوشَابِ ... شَرْبَةً نَغَّصَتْ سَوَادَ الشَّبَابِ [١]

لَوْ تَرَانِى وَفِى يَدِى قَدَحُ الدُّو ... شَابِ أبْصَرْتَ بَازِيَارَ غُرَابِ [٢]

• – ولى فى هذا المعنى [٣] :

[مجزوء الرمل]

لِأَبِى الْفَضْلِ شَرَابٌ ... جَيِّدٌ لَيْسَ يُعَابُ [٤]

هُوَ فِى حَالٍ طَعَامٌ ... وَهْوَ فِى أُخْرَى شَرَابُ [٥]

* * *

= فى الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره ، غزارة قول ، وخبث منطق ، وكان كثير الطيرة ، ومات مسموما عن طريق وزير المعتضد . ت ٢٨٣ هـ .

الفهرست ١٩٠ ، وتاريخ بغداد ٢٢/١٢ ، ومعجم الشعراء ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ٣٥٨/٣ ، ومروج الذهب ٢٨٣/٤ ، والموشح ٥٤٥ ، ورسالة الغفران ٤٧٦ ، وسمط اللآلى ١٦٠/١ ، ومعاهد التنصيص ١٠٨/١ ، ومسائل الانتقاد ١٤٥ ، والعمدة وزهر الآداب ، وديوان المعانى فى صفحات كثيرة وديوانه .

(١) ديوان ابن الرومى ٣٤٠/١ وفيه « شربة بغضت قناع ... » . وفى ط « نغست » بالسين المهملة (كذا) والدوشاب : نبيذ التمر . معرب .

(٢) فى ط « قدح الدور شاب » و « بازيا وغراب » (كذا) .

(٣) ديوان كشاجم ٤٧١ ، والبيتان فى المختار من قطب السرور ٦٤

(٤) فى المختار « نبيذ حسن » بدل « شراب جيد » ، وفى م « يعاب » بنقطتين فوق وتحت الحرف الأول .

(٥) فى المختار « وهو فى حال شراب » .

باب
السَّـــمَاع

ٍ ٍ ٍ

● – فأمَّا السَّمَاعُ الطيِّبُ فلو اقْتَصَر به عليك داعيك مِنْ دون كُلِّ مأْكولٍ ومشروبٍ لقَضَى حقَّكَ ، وأحسنَ تعويضك (١) ، ويشهدُ بتحقيق ذلك خَبرُ الرَّاعِي (٢) في البيتين اللَّذين سمعَه سامعٌ يتغنىَّ بهما وهما (٣) :

[الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى بِأَرْضِهَا ... أَرَى الأَرْضَ تُطْوَى لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا

/ مِنَ الخَفِرَاتِ الْبِيضِ وَدَّ جَلِيسُهَا ... إِذَا مَا قَضَتْ أُحْدُوثَةً لَوْ تُعِيدُهَا (٤) ٣٥/ظ

فأَطربَهُ وَأعْجبَهُ ، حتى مَالَ إليه ، فاستعاده (٥) فأَعادهما ، وقال : والله لو كان عندي قِرًى ما أعدتهما .

● – وقال آخر (٦) :

[الخفيف]

لِأَبِي جَعْفَرٍ سَمَاعٌ عَجِيبٌ ... جَمَعَ اللَّهْوَ فِيهِ وَالإِطْرَابَا

يَبْتَغِي مَطْعَمًا لَهُمْ وَشَرَابَا ... فَالنَّدَامَى بِهِ غَنِيُّونَ عَنْ أَنْ

---

(١) في م و ط « وأحسن معونتك وتعويضك » .

(٢) في م « الداعي » ، وهو خطأ كما يتضح من السياق ، وليس المقصود بالراعي الشاعر المعروف ، وإنما المقصود به أي راعٍ .

(٣) البيت الثاني فقط في ديوان مجنون ليلى ١٠٨ ، والبيتان ضمن ثلاثة أبيات دون نسبة في زهر الآداب ١/١٦ و ١٧ ، وجاءا دون نسبة في الأمالي ١/٨٤ ، والأول ضمن ثلاثة أبيات في الزهرة ١/٧٩ دون نسبة ، وفي الهامش ذكر أنها للمجنون .

(٤) في ديوان مجنون ليلى « إذا ما انقضت ... » ؛ وفي ص « لو يعيدها » ، واعتمدت ما في الديوان والمصادر المذكورة و م و ط .

(٥) في ط « فاستدعاه » .

(٦) لم أعرف القائل .

• - وذلك أنَّ الغناءَ شيءٌ يخصُّ النفسَ دون الجسم [١] فيشغلها عن مصَالِح الجسم [١] ، كما / أنَّ لذةَ المأكولِ والمشروبِ تخص [٢] الجسمَ دون النفس .

٣٦/و

• - وقالت [٣] الحكماءُ : الغناءُ فضلة في المنطق أشْكَلتْ على النفس فأخرجَتْهَا ألحانًا . فأقول : إنها إلى الألحانِ أميلُ ، إذ كانت هذه سبيلها أشدّ إصغاء منها إلى أن [٤] قد تميز لها ، وصحّ [٥] معناه عندها مِنْ سائرِ منطقها ؛ حرصًا على معرفة غامضها ، وشوقًا إلى استفتاح منغلقها ،وهي إلى تَعَرّف ما لم تَعْرف / أتْوَقُ منها إلى ما قد عَرَفَتْ .

٣٦/ظ

• - وكذلك المثلُ العجيبُ [٦] والبيتُ النادرُ كلَّما دَقَّ معناه ، ولَطُف حتى يُحْتاجَ إلى إخراجه بِغوصِ الفكر عليه ، وإجالةِ الذهنِ فيه كانت النفسُ بما يَظْهر لها منه أكثرَ التذاذًا ، وأشدَّ استماعًا [٧] مما تَفْهمه [٨] في أولِ وَهْلة ، ولا يُحتاجُ فيه إلى نظرٍ وفطنةٍ ، و [٩] ليس إلا لشرفها ، وبُعْدِ غَايتها .

• - وأقول [١٠] أيضًا : كما أنَّ الألحانَ أشرفُ المنظومِ فكذلك [١١] / النفسُ الطروب إليها المستخفّ لها أشرفُ الأنْفس ، وكلُّ ذى ذهنٍ لطيف ، ونَفْسٍ فاضلة أحرصُ [١٢] على السماعِ ، وأحَنُّ إليه [١٣] بالمشاكلة .

٣٧/و

(١ - ١) ما بين الرقمين زيادة من م و ط يتم بها المعنى . وانظر التمثيل والمحاضرة ٢٠٧ والمحاضرات ١/٢/١٥/٧١٥ وانظر مدح السماع فى كتاب يواقيت المواقيت بتحقيقنا تحت الطبع .

(٢) فى ص « يخص » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٣) فى ط « قالت » بحذف الواو .

(٤) سقطت « أن » من ص

(٥) فى ط « وصبح » .

(٦) فى ص « العجب » ، واعتمدت ما فى م وط .

(٧) كذا فى ص م و ط ، ويبدو أن الأوفق « استمتاعا » .

(٨) فى ص « يفهمه » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٩) فى ص : « ليس » بإسقاط الواو .

(١٠) فى ط « فأقول » .

(١١) فى ص « وكذلك » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(١٢) فى ط « أحرس » .

(١٣) فى ص « إليها » واعتمدت ما فى م ، ط .

• - وكتبتُ إلى بعضِ مَنْ كان يَزْهدُ في السماعِ (١) :

[مجزوء الكامل]

إنْ كُنْتَ تُنْكِرُ أنَّ فِي الْـ ... أَلْحَانِ فَـائِـدَةً وَنَـفْـعَـا (٢)

فَـانْـظُـرْ إلَـى الإِبِـلِ الَّـتِـي ... هِيَ - وَيْكَ - أغْلَظُ مِنْكَ طَبْعَا

/ تُـصْـغِـي لِأَصْـوَاتِ الحُدَا ... ةِ فَتَقْطَعُ الْفَلَوَاتِ قَطْعَا ٣٧/ظ

وَمِـنَ الْـعَـجَـائِـبِ أنَّـهُـمْ ... يُظْمُونَهَا خِمْسًا وَرِبْعَا

فَـإِذَا تَـوَرَّدَتِ الحِيَـا ... ضَ وَشَارَفَتْ فِي المَاءِ كَرْعَا

وَتَـشَـوَّفَـتْ لِـلـصَّـوْتِ مِـنْ ... حَادٍ تُصِيخُ إلَيْهِ سَمْعَا

ذَهِـلَـتْ عَـنِ المَاءِ الَّـذِي ... تَـلْـتَـذُّهُ بَـرْدًا وَنَـفْـعَـا (٣)

شَـوْقًـا إلَـى الـنَّـغَـمِ الَّـتِـي ... أَطْـرَبْـنَـهَـا لَـحْـنًـا وَسَـمْـعَـا (٤)

• - وَحَقُّ مَنْ أمتعكَ (٥) بسماعِهِ ، وأشرَكَكَ في أخصِّ لَذَّاتِهِ / وَسَوَّى بينك وبينه في استماعِ نَغَمِهِ مَنْ لعله يَغَارُ عليه من ظلِّه ، أنْ تجعلَ ثوابَهُ (٦) على هذه التكرمَةِ غَضَّ طرْفِك عن الجهةِ التي تلي السّتارة ، والناحيةِ التي (٧) تأتي منها النغمةُ ؛ حتى لا يكون باطنُ الستارة بأخفى عنك من ظاهرها ، ولا تحتاج أن يخرجَ بك الطربُ عن حدِّ الحريةِ والأدبِ فتلج بالاقتراح ، وتتحقق بالعلم بالغناءِ ، والحذق بالإعراب فتتّبع العَثْرة ، وتترصّد / الهفوة ، فإن سمعت مَجَازًا لحَّنته ، وإن مرَّ بك زحافٌ عيَّرته ووزنْته ، وقد قيل : النصحُ بين الملأ تقريعٌ ، ومن قلَّ علمُه كَثُر رَدُّه (٨) . ٣٨/و ٣٨/ظ

---

(١) ديوان كشاجم ٤٥٤ و ٤٨٩

(٢) في ط « فائدة ونفعا » .

(٣) في ط « نلتذه » .

(٤) في ط « النغم الذى ... » .

(٥) في ط « وحتى إذا أمتعك ... » .

(٦) في ط « ثوبه » .

(٧) سقطت « التي » من ص .

(٨) في ط « كثر وده » .

• - والعربيةُ أكثرُ من أن يخطىء فيها متكلم ، وأنْفُسُ القيانِ [١] أبيَّة ، ومعهنّ أنفة وحميَّة ، فمَن استعملَ معهنَّ هذا فهو أبدًا عليهن ثَقيل ، وعندهنَّ مقيت ، لا يعدم أن تُراقبه الواحدةُ وتكايده ، فتَعَالل إنْ حضر ، وتعدل عما استحسن [٢] ، فتقطع الصوت / عند انتحائه ، وتتربص بجيد الغناء لانصرافه .

٣٩/و

• - ولبعض أصحابنا فى غَضّ الطرْف عن الستارة [٣] :

[مجزوء الكامل]

إنِّــى عَــلَــى مَــا فِــىَّ مِــنْ ... عَـهْـدِ الـشُّـبـيْـبَـةِ وَالـنَّـضَـارَهْ
لأَغُــضُّ مِــنْ طَــرْفِــى وَيَــأْ ... مَنُنِى النَّدِيْـمُ عَلَى السَّتَارَهْ
وَأعَــفُّ خَــلْــقِ اللهِ عَــنْ ... جَــارِ أَصَــافِيْهِ وَجَــارَهْ

٣٩/ظ

• - وكتبتُ إلى بعضِ أصدقائِنا ، / وكانَ له سماعٌ مطربٌ وغيرةٌ مفرطةٌ : [٤]

[المنسرح]

إنْ شِئْتَ فَاسْتُرْ عَلَى سَمَاعِكَ أوْ ... إنْ شِئْتَ يَوْمًا فَعَطِّلِ السُّتُرَا [٥]
فَإنَّ عِنْدِى مِنَ الْعَفَافَةِ مَا ... تَحْمَدُهُ مَنْظَرًا وَمُخْتَبَرَا
أُمْكِنُ أُذْنِى مِنَ السَّمَاعِ وَلَا ... أُلْحَاظَ عَيْنِىَ النَّظَرَا [٦]

* * *

---

(١) فى م ، ط « القينات » .

(٢) فى ص « وتعدل عنه بما استحسن » واعتمدت ما فى م و ط .

(٣) لم أعرف القائل . وينظر البيتان الأول والثانى فى المحاضرات ٦٩٧/٢/١

(٤) ديوان كشاجم ٤٨٦

(٥) فى ص « على سماعك وإن ... » واعتمدت ما فى م و ط ليصح الوزن .

(٦) فى ط « ألحاظ عينى » وهو تصحيف .

باب
المحـــادثـة

* * *

• - فأمَّا سببُ النديم الذى هو رأسُ ماله ، وأنفسُ أعلاقِهِ / فهو المحادثةُ ، وهى ٤٠/و
أخفُّ اللَّذاتِ مؤونة [١] ، وأقلُّها إتعابًا للحاسَّةِ .

• - وقد قيل لشيخ فَانٍ : ما بقىَ من لذَّاتِك ؟ قال : استماعُ المُـلَح .

• وقال المهلَّبُ [٢] : العيشُ كله فى الجليسِ الممتعِ [٣] .

• - وجوَّدَ عليُّ بن العباس الرُّومى [٤] :

[مجزوء الكامل]

وَسَئِمْتُ كُلَّ مَآرِبِى ... فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثْ [٥]
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ ... مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثْ

• - وسَأَلَتْ فَنَنٌ [٦] وهى جاريةٌ أريبة كانت من آدَبِ [٧] الجوارى / فى ٤١/ظ
زمانها - مُسْلِمًا ، المعروف بالمتيِّم [٨] ، فى مُذَاكرة جَرتْ بينهما طويلة ، فقالت :
أىُّ الأمورِ عندك ألذُّ وأشهى ، محادثةُ الرجالِ ، أم استماعُ الغناءِ ، أم الخلوةُ

---

(١) فى م و ط « مؤنة » .

(٢) هو ظالم بن سراق بن صبح الأزدى العتكي البصرى ، يكنى أبا سعيد ، تولى إمارة البصرة لمصعب ابن الزبير ، وقاتل الأزارقة ، ثم تولى إمرة خراسان لعبد الملك بن مروان ، وفيها مات سنة ٨٣ هـ .
المعارف ٣٩٩ ، وشذرات الذهب ١/٩٠ ، ووفيات الأعيان ٥/٣٥٠ ، وعبر الذهبى ١/٩٥ .
وتوجد أخباره فى كل كتب التاريخ فى أثناء أخبار عصر بنى أمية والأعلام ٧/٣١٥

(٣) هذا القول تجده فى الكامل ١/٢٣٦ والعقد الفريد ٢/٤٣١

(٤) ديوان ابن الرومى ١/٣٩٧

(٥) فى الديوان « ولقد سئمت مآربى » ، وفى ص « ما أربى » .

(٦) لم أعثر لها على ترجمة .

(٧) فى ط « وهى جارية أديبة كانت من آدب » .

(٨) لم أعثر على من لقبه « المتيم » إلا إذا كان يقصد « صريع الغوانى » ، وإن كنت لم أجد من ألقابه « المتيم » .

بالنساءِ ؟ فقال [١] : سألتِ عن أمور [٢]لا تحسن محادثةُ الرجالِ إلا بِحُسْنِ التَّفهُّمِ ، و [٢] لا يصلحُ الغناءُ [٣] إلا بشُرْبِ النبيذ ، ولا الخلوةُ مع النساءِ إلا بالموافقةِ ، وسعةِ القدرة ، قالت فأيّ [٤] الثلاثةِ تختار ؟ قال : محادثةُ الرجال .

٤١/و • - ومثلُ قوله : / لا تَحْسُنُ [٥] محادثةُ الرجالِ إلا بِحُسْنِ التَّفهُّمِ ، قولُ الآخرِ [٦] : تعلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تتعلَّم حسنَ الكلامِ .

• - وحُسنُ الاستماعِ إمهالُ المحدِّثِ حتى ينقضيَ حديثُه ، وقلَّةُ التقلُّبِ إلى الجوابِ ، والإقبالُ عليه بالوجه ، والنظرُ والوعيُ لما يقول ، وأن تُصغيَ إلى حديثه [٧] ، ولا تشغل طرفَكَ عنه بنظر ، ولا أطرافَكَ بعمل ، ولا قلبَك بفكر ، ولا تسابقه / إلى حديث يبدأُ به لمعرفتك بذلك الحديث ، بل تُرِيْه من الارتياحِ له ، ٤١/ظ والتعجُّبِ منه ما تُوهِمُهُ أنه لم يخطر ببالك ، ولا وَقرَ في سمْعِك .

• - وأمتعُ الناسِ حديثًا أحسنُهم إفهامًا ، ومن أدبِ الحديثِ ألا يُقْتضبَ اقتضابًا ، ولا يهجم عليه ، وأن يُتَوصَّلَ إلى اجترارِه بما يشاكله ، ويسبب له ما يحسنُ أن يجرىَ معه فى غرضه ، حتى يكون بعضُ المفاوضة متعلقًا / ببعض ٤٢/و على حسب قولهم فى المثل : « الحديثُ ذو شُجون » [٨] ، يعنى بذلك تشعُّبه وتفرُّعه عن أصلٍ واحد إلى معانٍ كثيرة ، وألا تبتدىء حديثًا ثم تقطعه ، وتعد بإتمامه ، كأنك روَّأْتَ [٩] فيه بعدَ ابتدائِه ، ولتكن التَّروئةُ له قبل التفوُّهِ به ، فإن احتجارَ الحديث بعد ابتدائه سخف .

---

(١) فى ص « فقالت » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٢ - ٢) ما بين الرقمين زيادة من م و ط يتم بها السياق ، وانظر الفقرة الآتية .

(٣) فى ط « والغناء » بإسقاط « لا يصلح » ، وفى م « ولا الغناء » .

(٤) فى ط « أى » . (٥) فى ص « لا يحسن » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٦) ينسب هذا القول إلى الحسن البصرى فى البيان والتبيين ٢٩١/٢ وجاء دون نسبة فى المحاضرات ٧١/١/١

(٧) فى ط « إلى حديثى » .

(٨) انظره فى كتاب الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام ٦١ وما فيه من مصادر ، والفاخر للمفضل ٥٩ ، ومجمع الأمثال للميدانى ٣٥١/١

(٩) روأ فى الأمر : نظر فيه وتعقبه ، ولم يعجل بجواب . انظر اللسان والقاموس .

● - ولا يتّسعُ للنديم (١) من العذرِ في إكثارِ الصمتِ ما يتسعُ للكاتب ؛ لأنّ ذلك ينزل من الكاتب / على الفكر في تدبير الأعمالِ ، ونظمِ الأُمــــور ، والانتظار لأَن يُسأَلَ فيجيب ، أو يُستشارَ فيصيب ، وهو من النديمِ عِيٌّ وانقطاع ، وقلّةُ إمتاع ، كما قال بعض أصحابنا (٢) : ٤٢/ظ

[السريع]

وَصَاحِبٍ أَصْبَحَ مِنْ بَرْدِهِ ... كَالْمَاءِ فِي كَانُونَ أَوْ فِي شُبَاطْ
نَدْمَانُهُ مِنْ ضِيقِ أَخْلَاقِهِ ... كَأَنَّهُ فِي مِثْلِ سَمِّ الْخِيَاطْ
نَادَمْتُهُ يَوْمًا فَأَلْفَيْتُهُ ... مُتَّصِلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ النَّشَاطْ
حَتَّى لَقَدْ أَوْهَمَنِي أَنَّهُ ... بَعْضُ التَّمَاثِيلِ الَّتِي فِي الْبِسَاطْ

● - / وقال بعضُ العلماء (٣) : إذا لم تكن المحدِّثَ أو المُحَدَّث فقُم . ٤٣/و

● - ومع ما قلنا من إكثارِ النديمِ الحديثَ فأحلى لحديثه وأحسنُ لموقعه أن يتنكّبَ منه الطُّوال ذوات المعاني القلقه ، والألفاظِ الوحشيةِ التي يَفْنَى باقتصاصها زمانُ المجلس ، وتتعلق (٤) بها النفوسُ ، وتحبسُ على أواخرها الكؤوس (٥) ، فإن ذلك بمجالسِ القصّاصِ أشبهُ منه بمجالِس / الخواص . ٤٣/ظ

● - ولم يَزَالوا يمدحون الأحاديثَ بالقِصَرِ كقولِ امرىء القيس (٦) :

[المديد]

وَحَدِيثُ الرَّكْبِ يَوْمَ هُنَا ... وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ (٧)

---

(١) في ط « للندم » .

(٢) الأبيات تنسب إلى العروضي في معجم الأدباء ٢/٧٩٠ [ط إحسان عباس] .

(٣) ينسب هذا القول إلى سعيد بن سلم في عيون الأخبار ١/٣٠٧

(٤) في ص « ويتعلق » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في م و ط .

(٥) في م ، ط « الكؤس » .

(٦) ديوان امرئ القيس ١٢٧ وجاء آخر قصيدة أولها « رب رام من بني ثعل » ، وانظر شرح البيت في الديوان ، ففيه كلام كثير وتوجيهات لغوية يحسن الرجوع إليها .

• - وقال آخر [١] :

[الطويل]

إذا هُنَّ حَدَّثْنَ الْحَدِيثَ قَضَيْنَهُ وَمَنَّيْتَنَا أَنَّ الْحَدِيثَ يُعَادُ

• - وقال عبد الله بن المعتز [٢] :

[الخفيف]

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سِحْرٌ وَمَا سِوَاهُ كَلَامُ [٣]

• - / وقال آخر [٤] : ٤٤/و

[البسيط]

كَمْ مِنْ حَدِيثٍ قَصِيرٍ لِي أَصِيدُ بِهِ قَلْبَ الْفَتَاةِ وَأَشْعَارٍ أُسَدِّيهَا [٥]

• - وقال آخر [٦] : لا تجعلُوا مجلسَكم حديثًا كلَّه ، ولا إنْشادًا [٧] كله ، ولكن امْزُجُوه ، واجعلوا من كلِّ شيءٍ نصيبًا .

• - ومن أدب الحديث ألا يكثرَ المحدِّث التبسمَ والقهقهة .

• - وقال نجاحُ بنُ سَلَمة [٨] للمتوكل لما دعاه إلى منادمته : فيَّ خِصالٌ

---

(١) لم أعرف القائل .

(٢) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، يكنى أبا العباس ، كان أديبا بليغا ، وشاعرا مطبوعا ، مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، حسن الإبداع للمعاني ، وكان مخالطا للعلماء والأدباء ، معدودا من جملتهم . ت ٢٩٦ هـ .

الأغاني ٢٧٤/١٠ ، وتاريخ بغداد ٩٥/١٠ ، ووفيات الأعيان ٧٦/٣ ، ونزهة الألباء ١٧٦ ، ومعاهد التنصيص ٣٨/٢ ، والشذرات ٢٢١/٢ ، وعبر الذهبي ١٠٤/٢ ، ومسائل الانتقاد ١٤٤ ، وكتب التاريخ في أحداث عام ٢٩٦ هـ وديوانه .

(٣) ديوان ابن المعتز ٣٠٨/٢ ضمن قصيدة .

(٤) القائل هو كشاجم مؤلف الكتاب .

(٥) ديوان كشاجم ٤٢٠

(٦) تسب هذا القول إلى بشار في زهر الآداب ١٥٦/١

(٧) في ط « ولا إنشاد » (كذا) .

(٨) كان نجاح بن سلمة على ديوان التوقيع ، وتتبع العمال ، وكان على الضياع فكان جميع العمال يتوقونه ، ويقضون حوائجه ، وقد قتله موسى بن عبد الله الأصفهاني وصادر أمواله سنة ٢٤٥ هـ .

تاريخ الطبري ٢١٤/٩ ، والكامل في التاريخ ٨٨/٧ ، ووفيات الأعيان ٣٥٤/١ و ٣٤٦/٤ و٣٣٧/٥

لا تصلحُ معها منادمةُ الخلفاءِ / قال : وما هى ؟ قال : سَلَسُ البَوْلِ ، وأبتسمُ [١] إذا حدَّثتُ ، ولا أقدر من الشُّربِ على أكثرَ من رطلينِ . فقال له : من حقِّ صدقِك عنها أن نُسامحَك بها فنحملها [٢] . ٤٤/ظ

● - وقد اختلَفَ رأيُهم فى موقعِ [٣] الحديث على الطعامِ ، فاستحسنهُ قومٌ ، وكرِهَهُ آخرون ، وهو من صاحبِ المنزلِ والمائدةِ أحسَنُ منه من الأكيلِ والزَّائرِ ، كما قال بعضُهم [٤] :

[الرجز]

/ صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقِرَى [٥] ٤٥/و

● - ويُسْتَجَادُ قولُ بعضِ المحدَثين [٦] :

[البسيط]

كَيْفَ احْتِيَالِى لِبَسْطِ الضَّيْفِ مِنْ خَجَلٍ
عِنْدَ الطَّعَامِ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ حِيَلِى
أَخَافُ تَرْدَادَ قَوْلِى لِى فَأُحْشِمَهُ
وَالصَّمْتُ يُنْزِلُهُ مِنِّى عَلَى الْبَخَلِ

● - وَأكَلَ عندى بعضُ المجَّان من النبيذيين [٧] ، فسمعَنِى وأنا أحمدُ الله عزَّ وجلَّ فى وَسَطِ الطَّعامِ لشىءٍ خَطَرَ ببالى من نِعَمِهِ التى لا تُحصَى ، فنهضَ ، وقال : أُعْطِى اللهَ/ عهدًا إنْ عاودتُ ، وما معنى التحميد فى هذا الموضعِ ! كأنك أردت أنْ تعلمنا أنَّا قد شبعنا ، ثم مال إلى الدَّوَاةِ والقرطاسِ ، وكتبَ ارتجالًا : ٤٥/ظ

---

(١) فى م و ط « وأتبسم » .
(٢) فى ط « فتحملها » بالمثناة الفوقية .
(٣) فى ط « فى موضع » . وانظر البيان والتبيين ١/١٠ والمحاضرات ١/٢/٦٥٣ وأمالى ابن الشجرى ٢/٤٩٩
(٤) القائل هو الشماخ ، والرجز فى ديوانه ٤٦٧ وفيه تخريج ممتاز ، وانظر الرجز بنسبته إلى الشماخ فى أمالى ابن الشجرى ٢/٤٩٩ و ٥٠٠ وجاء دون نسبة فى المحاضرات ١/٢/٦٥٣
(٥) فى المحاضرات « صادف أنسا » .
(٦) هو دعبل والبيتان فى ديوانه ٣١٨ باختلاف يسير ، والأول بنسبته إليه فى المحاضرات ١/٢/٦٥٣
(٧) جاءت هذه الرواية فى زهر الآداب ١/٤٥٣

[الوافر]

وَحَمْدُ اللهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ ... وَلَكِنْ لَيْسَ فِى أُولَى الطَّعَامِ
لِأَنَّكَ تُحْشِمُ الأَضْيَافَ فِيهِ ... وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُؤْذِنُهُمْ وَمَا شَبِعُوا بِشِبْعٍ ... وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

٤٦/و ● - ولستُ أرَى بالحديثِ من الزائرِ والمزور إلا أنَّ / أحسَنَ حديثِ النديمِ على الطعام ، وأليقَه [1] بالحال التى هو فيها أن يكون فى معنى الطِّبِّ ، وذكر الأغذيةِ ومحمودِها ومكروهِها .

● - فإنْ أحسَّ من صاحبه بُخْلًا صلحَ أيضًا أن يذكرَ له طَرفًا مما جاءَ فى تخفيف الطعام ، وتَرْكِ [2] التَّمَلُّؤِ منه ، والأخذِ بمقدارِ الحاجة إليه ، وما يقيمُ الجسمَ دون ما يتعرض به للتُّخمةِ ، وذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله [3] وسلم [4] :

٤٦/ظ « اجْعَلُوا الْبَطْنَ أَثْلَاثًا / ثُلُثًا طَعَامًا ، وَثُلُثًا شَرَابًا ، وثُلُثًا نَفَسًا » . ثم مثل قول متمم ابن نُوَيْرَة [5] :

[الطويل]

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا [6]

---

(١) فى ط « وألقبه » .

(٢) فى م و ط سقط قوله « وترك » .

(٣) فى م سقط « وآله » .

(٤) فى نثر الدر ٢٤٨/١ : « حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسك » . وانظره فى المحاضرات ٦٣١/٢/١ باختلاف يسير .

(٥) هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن ثعلبة ... ابن تميم ، يكنى أبا نهشل أو غير ذلك ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ومراثيه فى أخيه مالك مشهورة ، وقد استفرغت شعره . ت ٣٠هـ .

طبقات ابن سلام ٢٠٣/١ ، والكامل للمبرد ٧٢/٤ ، والفاضل ٦٣ ، والأغانى ٢٩٨/١٥ ، ومعجم الشعراء ٤٣٢ ، والمؤتلف والمختلف ٢٩٧ ، والشعر والشعراء ٣٣٧/١ ، والمفضليات ٢٦٣ وغيرها ، وخزانة الأدب ٢٤/٢ ، والاستيعاب ١٤٥٥/٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٧٤٧/٢ ، وسمط اللآلى ٨٧/١ ، والأعلام ٢٧٤/٥

(٦) البيت فى المفضليات والأغانى والجمهرة وغيرها من المصادر السابقة . والمنهال : هو ابن عصمة الرياحى ، كفن مالكا فى ثوبيه . وفى ص كتب فى الهامش أمام البيت « المنهال رجل ألقى ثوبه على مالك أخى متمم ، وكذلك كانوا يفعلون ، يمر الرجل بالقتيل فيلقى عليه ثوبه يستره . والأروع :=

يريد أنه كان يُؤْثِر الأَضيافَ بالزادِ على نفسه ، وهو لا يستوفي منه شِبَعه ، وقال المُبرِّدُ : [١] لأنه كان يُؤَخِّرُ العشاء [٢] إلى الليل ؛ انتظارًا للطَّارِقِ . وقولُ حاتمٍ [٣] :

[الطويل]

/ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِيَ أَنْ يَرَى ... مَكَانَ يَدِي مِنْ مَوْضِعِ الزَّادِ أَقْرَعَا [٤] ٤٧/و

وكُنتَ إِذَا أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا [٥]

وقول الآخر [٦] : البِطْنة تُذهب الفِطْنة .

= الذي إذا رأيته راعك بحسنه وجماله » ، وفي ص أيضا « العشى » ثم كتب تحتها « العشيات » وكتب الناسخ علامة التصحيح « صح » .

(١) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي ، يكنى أبا العباس ، ويعرف بالمبرد ، كان شيخ علماء النحو بعد أبي عمرو الجرمي وأبي عثمان المازني ، كان حسن المحاضرة ، مليح الأخبار ، كثير النوادر . ت ٢٨٥ أو ٢٨٦ هـ .

معجم الشعراء ٤٠٥ ، وإنباه الرواة ٢٤١/٣ ، ونزهة الألباء ١٦٤ ، وبغية الوعاة ٢٦٩/١ ، وتاريخ بغداد ٣٨٠/٣ ، وسمط اللآلي ٣٤٠/١ ، ومعجم الأدباء ١١١/١٩ ، والنجوم الزاهرة ١١٧/٣ ، والفهرست ٦٤ ، والشذرات ١١٠/٢ ، وطبقات النحويين ١٠١ ، وفيات الأعيان ٣١٣/٤ ، والكامل في اللغة والأدب والفاضل والتعازي والمراثي للمبرد ، والأعلام ١٤٤/٧

(٢) الذي جاء في الكامل للمبرد ١٥٣/٣ هو « فإنما كان أنه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف » . وفي ص « يوخر العشا » بحذف الهمزة .

(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، أحد بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، يكنى أبا سفانة وأبا عدي ، ويعرف بحاتم الطائي ، فارس شاعر جاهلي ، أشهر الأجواد الذين يضرب بهم المثل في الجود .

البيان والتبيين ٣٠٧/٣ و ٣٠٨ ، والشعر والشعراء ٢٤١/١ ، الأغاني ٣٦٤/١٧ ، وسمط اللآلي ٦٠٦/١ ، وخزانة الأدب ١٢٧/٣ ، ومجمع الأمثال ٣٢٦/١ ، والأعلام ١٥١/٢

(٤) البيت بنصه في عيون الأخبار ٣٤٣/٣ ، والأمالي ٣١٨/٢ ، والحماسة ٣٤٣/٢ ، وقد وجدتهما في ديوان حاتم الطائي ١٧٤ بعد أن وقع في يدي مع بعض اختلاف وفي البيان والتبيين « فإني لأستحيي أكيلي » ، من « جانب الزاد » ، وفي م ، ط « بلقعا » بدل أقرعا » .

(٥) في الأمالي « وإنك إن أعطيت ... » ، وفي البيان والتبيين والحماسة « وإنك مهما تعط ... »

(٦) ينسب هذا القول إلى عمرو بن العاص في البيان والتبيين ٨١/٢ ونسب إلى علي رضي الله عنه في المستطرف ٣٩٠/١ وفيه : « ... تذهب الفتنة » [كذا] ، وجاء دون نسبة في المحاضرات ٦٣١/٢/١ والعقد الفريد ٧٩/٢ و ٢٩٨/٦ والتمثيل والمحاضرة ٢٧٨ وأمالي ابن الشجري ٤٩٩/٢ وفي هذا الأخير تخريج آخر .

وقول الآخر : عاهةُ [١] الشّبع أشدُّ من عاهةِ [١] الجوع .

وقول بُقْراط [٢] : الإقلالُ من الضارِّ خيرٌ من الإكثارِ [٣] من النافعِ .

ثم إن استشاره في نقلٍ أو عَشاءٍ لم يُشِرْ عليه إلا بما لَطُفَ من النقل ، وحَادَ

٤٧/ظ به [٤] عن الطعامِ ، / وخوَّفه عاقِبَتَهُ .

● - وإن كان سَخِيًّا أكولا ذاكَرَهُ بما يُعْجبُه ، ويُشَاكلُ مذهبَهُ في إخْمَادِ قوةِ الشَّهوةِ للأَكل ، والإكثارِ منه ، وما فيه من اللَّذةِ ، كقولهم [٥] : الأَطْيبانِ : الأَكلُ والنكاحُ .

وكقول الآخر [٦] :

[الخفيف]

حُسْنُ أَكْلِ الْفَتَى يَدُلُّ عَلَى إِيْـ ـنَاسِهِ ضَيْفَهُ وَبَسْطِ أَكِيلِهْ

وَتَـرَاهُ يُـقِـلُّ مِـنْـهُ فَيَدْعُـو ذَاكَ أَضْيَافَهُ إِلَى تَبْخِيلِهْ [٧]

٤٨/و ● - ويُحكى أن الحجَّاجَ أصْبحَ جائِعًا فقال لجلسائه : ما / خيرُ الغذاءِ [٨] ؟ فقال ابنُ القِرِّيَّةِ [٩] : بَوَاكِرُهُ أيها الأمير [١٠] ، قال : ولِمَ ذلك ؟ وهل هو كذلك

---

(١) في ص « عادة » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٢) جاء هذا القول بنصه مع نسبته إلى الأطباء في يواقيت المواقيت [تحت الطبع] في باب مَدْح القلّة ، وجاء في زهر الآداب ٨٦٣/٢ قول ينسب إلى بختيشوع الطبيب يقرب مما هنا ، وهو : « أكْل القليل مما يضر أصْلح من أكْلِ الكثير مما ينفع » واقرأ موضوع ذم الشبع في المحاضرات ٦٣١/٢/١

(٣) في ص « من الكثير » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٤) في ص : « وجاده » واعتمدت مافي م وط .

(٥) انظر هذا القول في بهجة المجالس ٩٢/١

(٦) لم أعرف القائل ، والبيتان في محاضرات الأدباء ٦٥٢/٢/١ غير منسوبين .

(٧) في المحاضرات « وتراه يقل منه ويدعو » .　　(٨) في م « الغداء » بالدال المهملة .

(٩) هو أيوب بن زيد بن قيس يكنى أبا سليمان ، والقرية أمه ، وهو من بنى هلال بن ربيعة بن زيد مناة ابن عامر ، وكان لسنا خطيبا ، وكان مع الحجاج فقتله لسبب اتهمه فيه بميل إلى ابن الأشعث . ت ٨٤ هـ .

المعارف ٤٠٤ ، والطبرى والكامل فى التاريخ فى أحداث عام ٨٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٠٧/١ ، ووفيات الأعيان ٢٥٠/١ ، وشذرات الذهب ٩٣/١ ، ومروج الذهب ١٤٧/٣ وفيه كانت وفاته سنة ٨٢ هـ ، والأعلام ٣٧/٢

(١٠) جاء في التمثيل والمحاضرة ٢٧٦ : « خير الغداء بواكره ، وخير العشاء بواصره » ، وفي المستطرف ٣٨٩/١ : « خير الغداء بواكره ، وخير العشاء سوافره » ، ولم ينسب فيهما .

فى كلِّ أوانٍ ؟ قال : نعم ، إن كان الزَّمَانُ شتاءً فلِطُولِ الليلِ ، وهَضْمِ المعدة للطعامِ وإن كان قيظًا فلبردِ الماءِ ، وقلَّةِ الذباب .

* * *

باب

غَسْلِ اليَدِ

* * *

٤٨/ظ • - قد [١] اصْطَلَحَ النَّاسُ على إجلالِ رُؤسائِهم ومُلوكِهم / عن غَسْلِ أيديهم بحَضْرَتِهم ، واستجازُوا ذلك مع نظرائِهم ومن يَسْقُطُ التحفُّظُ بينه وبينهم .

• - ولو آثر الناسُ الاعتزالَ لغسلِ الأيدى من الغَمَرِ [٢] مع كلِّ طبقةٍ حتى لا يَرى بعضُهم بعضًا لكان ذلك عندى أَلْيَقَ بالظريفِ ، وأشدَّ إمكانًا لما يَحتاجُ إليه من استقصاءِ الغُسلِ ، والمبالغةِ فى التنظيف ، وإجالةِ الأنامِلِ فى اللَّهَوَاتِ ، والخِلال فى الأَسنان ، وتَفْله / وما أشبه ذلك مما لا يَشُكُّ أحدٌ أن سَتْرَهُ عن عينِ المحبِّ ، ٤٩/و والمُبغضِ ، والرفيعِ ، والمتواضِعِ ، أحمدُ من إطلاعِهِ عليه [٣] .

• - ومُحَالٌ أن يكون الرؤساءُ والملوكُ ذهبوا غيرَ هذا المذهب ، وأن يُظَن بهم فيه الكِبْرُ ، ويُوهم عليهم العُجْبُ ، وإن المَرءَ ليتأذَّى [٤] أن يرى ذلك من نَفْسِه ، فكيف من غيرِه !

• - وربما يُحسِنُ الرئيسُ ويُجملُ فيقول [٥] لنديمه : إغْسِلْ يدَكَ مكانك ، ولا تنزعجْ / ، فالغبيُّ يتغنَّمُ ذلك ، والفطِنُ يأباه ، ويُغلِّب الأدب ، فيخف على ٤٩/ظ الأدب ، ويستفيد الحظوة ، ويأمَنُ الأول التَّثْقيل فيثقل .

• - ولو كان الحكمُ فى هذا يُوجبُ من الترتيبِ فيه والاجتماعِ عليه مثلَ ما تُوجبُهُ المؤاكلةُ لحَسُنَ أن تجتمعَ الأيدى فى الطَّسْتِ الواحدة ، كما تجتمعُ فى مائدةٍ واحدة .

---

(١) انظر نهاية الأرب ١٤٩/٦

(٢) الغمر - بفتح الأول والثاني - ما يعلق باليد من الدسم .

(٣) في ص « عليها » واعتمدت ما فى م و ط .

(٤) فى م « يتأذى » .

(٥) في ص « فقال » ، واعتمدت ما في م و ط ، انظره فى نهاية الأرب ١٥٠/٦ إلى قوله فيخف على الأدب مع بعض اختلاف .

• - هذا بَعْدَ الطعامِ فأَما قَبْلَهُ فجائِزٌ أن تُغسلَ اليدُ / بين يدى الرئيس والنظير في طستٍ واحدة . ٥٠/و

• - وغسل رجُلٌ مع المأمونِ يدَه ، وأبطأَ الطعامُ ، فسبَقَتْهُ يدُه إلى رأْسِه ، فقال له المأمون : أَعِدْ غَسْلِ يدك [١] [٢] وقال : لا يلى غَسْلِ اليدِ [٢] إلا الخُبْز .

• - وقال : رئيسُ سُنَنِ العربِ المضمضةُ ، والسَّوَاكُ ، والاستنجاءُ ، ورئيسُ سننِ العجمِ الخِلال ، وغَسْلُ اليد قبلَ الطعامِ .

• - وسبيلُ ربِّ المنزلِ أن يبتدىء بِغَسلِ اليدِ ، فيكون / أوَّلا قبلَ الطعام ، وآخرًا بعده ، ينفى [٣] في الأول حشمتهم ، وفى الحالة الثانية يتوخَّى تعجيل إماطةِ أذى الغَمَرِ عن أيديهم . ٥٠/ظ

• - هذا مع الأَكْفَاءِ والمعاشرين ، فأَما العظماء من ذوى السلطانِ فالأَوْلَى بمنادمتهم المبالغةُ في التخفيف عن أعْيُنِهم وقلوبهم ، والتناهى في إعظامِهم وتَبْجيلهم .

• - فأَما الخلالُ والانفرادُ به ، والتَّخلِّى له فأَصْوَنُ [٤] وَأَحْسَنُ على كلِّ حال .

* * *

(١) في ص « اليد » واعتمدت ما في م و ط ، وانظر القول مع بعض اختلاف في المحاضرات ٦٢٩/٢/١

(٢ - ٢) ما بين الرقمين زيادة من م و ط .

(٣) في ط « ويبقى » ، وفي ص « وينفى » ولا معنى لهذه الواو .

(٤) في ص « أصون » ، واعتمدت ما في م و ط ليصح الأسلوب .

باب
إدارة الكــــــأس

* * *

• - فأمَّا حُكمُ الكَأس فى إدارتها فإنَّ الأدبَ فيه مُوافقٌ لسنَّةِ الإسلامِ ، ومذهب الجاهلية ، لم يغيروه ، ولم يبدل به ؛ لأنه رُوى عنه صلى الله عليه وآله [1] وسلم أنه أُتى بسقاءٍ من لبنٍ ، فشرب منه ، وكان عن يمينه غلامٌ حديث [2] السِّنِّ ، وعن يساره رجلٌ من مشيخة أصحابه ، فدفعه عليه [3] السلام / إلى الغلام ، وقال : « الأيمن فالأيمن » .

٥١/ظ

• - ومما يدلُّ على مذهب الجاهلية فى مثل هذا قول عمرو بن عدى [4] ، وجماعةٌ من العلماء ينسُبُون ذلك إلى عمرو بن كُلثوم ، [5] :

[الوافر]

تَجِيـدُ الْكَأْسِ عَنَّا أُمَّ عَـمْرٍو ... وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا [6]

---

(١) فى م و ط سقط قوله « وآله » .

(٢) فى م و ط « حدث » .

(٣) فى ط سقط « عليه » .

(٤) هو عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى ، أول من ملك العراق ، من اللخميين فى الجاهلية ، وهو الذى قتل الزباء قاتلة خاله جذيمة ، وكانت إقامته فى الحيرة ، وهو أبو ملوك الحيرة الذين كان آخرهم النعمان بن المنذر الذى قتله كسرى ، وفى ص « عمر بن عدى » والتصحيح من م و ط والمصادر التى سنذكر بعد .

المعارف ٦١٨ ، ومعجم الشعراء ١٠ ، والأعلام ٨٢/٥ وما فيه من مراجع .

(٥) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، يكنى أبا الأسود أو أبا عمير ، وهو فارس شاعر مقدم ، سيد أحد فتاك العرب ، وهو الذى قتل عمرو بن هند ملك الحيرة فى قصة مشهورة .

طبقات ابن سلام ١٥١/١ ، والشعر والشعراء ٢٣٤/١ ، والأغانى ٥٢/١١ ، ومعجم الشعراء ٦ ، والخزانة ١٨٣/٣ ، وشرح القصائد السبع الطوال ٣٦٩ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٨٧/١ ، ومسائل الانتقاد ٩٧ ، وسمط اللآلى ٦٣٥/٢ ، والأعلام ٨٤/٥ وما فيه .

(٦) البيتان نسبا فى معجم الشعراء ١٠ ، والأغانى ٣١٤/١٥ ، والعمدة ١٠٧٥/٢ بتحقيقنا =

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِى لَا تَصْبَحِينَا [(١)]

* * *

= إلى عمرو بن عدى ، وفيها « صددت الكأس .. » ، وفي الجمهرة « صرفت الكأس .. » ، والبيتان ليسا في معلقة عمرو بن كلثوم فى شرح القصائد السبع الطوال للأنبارى . وفي م و ط « لكاس » بإسقاط الألف .

(١) فى ص « بصاحبك التى ... » والتصحيح من المصادر السابقة ومن م و ط .

باب
الإكثار والإقلال

ه ه ه

٥٢/و • – ومما يَغْلطُ فيه أكثرُ المنادمين ، وجمهور المتعاقرين / افتتاحُ الشّرب بالقدحِ الصغير ، والترقِّي منه إلى الكبير ، وهم بالابتداءِ بالكبير في حال جِمَامِهِم وحاجتِهم إلى هَضْمِ طعامهم وأبين مجلسهم أولى ، حتى إذا تَرنَّحُوا وانتَشَوْا كانوا بالنزول إلى الصغيرِ أوْلى ، وبالإبقاءِ على عقولهم أحْرَى .

وربما لم يكن غناؤهم ممتعًا فيُعْفِي تعجيلُهم الطَّرب بالكبير على تقصيره ، ٥٢/ظ ويُغَطِّي ارتياحُهم على عيوبه ، ولو صادفهم على غير / تلك الحال ألحقهم الفتُور ، وقلَّ نشاطُهم للكبير .

• – فأما الإكثارُ والإقلالُ فليس النديمُ فيهما مختارًا ، ولا عَلِمْنَا أحدًا تبينَّ منه كبير بخلٍ على النبيذ .

• – والأغلبُ على أكثرِهم إجبارُ النديم على الشُّربِ ، والحَيْف عليه ، واستثقاله إذا تأبَّى وامتنع ، أو تمنع .

• – ولا عيبَ على النديمِ في السُّكْرِ إذا كان مجبورًا عليه كما وَصَفْنَا ، وتُغفرُ ٥٣/و له فَرَطَاتُهُ فيه [1] وعثراتُه / كما قال العَطَوِي [2] :

[الوافر]

فَمَنْ حَكَّمْتَ كَأْسَكَ فِيهِ فَاحْكُمْ ... لَهُ بِإِقَالَةٍ عِنْدَ الْعِثَارِ

---

(١) في م و ط سقط « فيه » .

(٢) البيت بنسبته إلى العطوي جاء آخر تسعة أبيات في زهر الآداب ٤٤٨/١ ، وآخر أحد عشر بيتا في المختار من قطب السرور ٣٦٨ ، وجاء مفردا بذات النسبة في معجم الشعراء ٢٧٧ ، والتمثيل والمحاضرة ٢٠٧ ، والمحب والمحبوب ٣٢٣/٤ ، والوافي بالوفيات ٢٢٦/٣ ، وجاء بنسبته إلى أبي حكيم في ديوان المعاني ٣٣٠/١ وفيه جاء على صورة النثر ، وجاء دون نسبة في المحاضرات ٦٩٥/٢/١ هكذا :

إذا حَكَّمْتَ كؤوسَك في الندامى ... فحقُّهمُ الإقالةُ للعثارِ

وكما قال عليُّ بنُ الجَهْم [١] :

[البسيط]

وَالْقَوْمُ إِخْوَانُ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ ... مِنَ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعْدَلْ بِهِ نَسَبُ [٢]

تَنَازَعُوا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بَيْنَهُمُ ... وَأَوْجَبُوا لِرَضِيعِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ [٣]

أَلَا يَحْفَظُونَ عَلَى السَّكْرَانِ زَلَّتَهُ ... وَلَا يَرِيبُكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيَبُ

● - والأَصلُ فى هذا ما يُحكَى عن المأمونِ من قوله : / النَّبيذُ بِساطٌ فإذا رُفِعَ فَاطْوُوه [٤] . ٥٣/ظ

● - إلَّا أن يكونَ النديمُ هو المستدعى للشُّرب ، والمواصل للنُّخبِ من غير ثقةٍ منه باحتمالِ ذلك فيلزمُهُ التَّبِعة ، وتعصب به الجريرة .

● - فأَما الرئيسُ ذو الملك والأَمر النافذ فلو كان السُّكرُ أو مقاربتُهُ حلالًا لا اختلاف فيه لكان عليه حرامًا لا اختلاف فيه : لأَن بَادِرتَهُ إلى نفسه / وغيره لا تستقال [٥] وأمرُهُ لا يُراجع ؛ لأنه يَقْهَرُ ولا يُقهَر ، ويَحْجُرُ ولا يُحْجَرُ عليه ، وقلما سمعنا بحادثةٍ فظيعة ، وغدرةٍ قبيحةٍ ، وسطوةٍ عظيمة استجازها [٦] ملك ، ٥٤/و

---

(١) هو على بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود ... القرشى ، يكنى أبا الحسن ، كان شاعرًا مطبوعًا مقتدرًا على الشعر ، عذب الألفاظ ، وخص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم غضب عليه ونفاه إلى خراسان ، فلما وصل إلى شاذياخ حبس ثم صلب مجردًا نهارًا كاملا ، وقد أكثر الشعراء فى هجائه لانحرافه عن آل البيت رضى الله عنهم . ت ٢٤٩ هـ .

الأغانى ٢٠٣/١٠ ، ومعجم الشعراء ١٤٠ ، والموشح ٥٢٧ ، وطبقات ابن المعتز ٣١٩ ، ووفيات الأعيان ٣٥٥/٣ ، وسمط اللآلى ٥٢٦/١ ، وتاريخ بغداد ٣٦٧/١١ ، ومسائل الانتقاد ١٣٩ وديوانه .

(٢) ديوان على بن الجهم ١٠٦

(٣) فى الديوان : « تراضعوادرة ... » .

(٤) هذا القول جاء بنسبته إلى المأمون فى المحاضرات ٦٩٤/٢/١ وفيه : « النبيذ بساط إذا رفع لم ينشر » ، وينسب إلى الشريف الرضى فى زهر الآداب ٤٤٩/١ مع بعض اختلاف وفيه أبيات من الشعر لأبى حفص عمر بن أيوب تؤدى ذات المعنى وفى ٤٥٠/١ كلام للصاحب يؤدى ذات المعنى .

(٥) فى ص « لا يستقال » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٦) فى ص « استجارها » ، واعتمدت ما فى م و ط .

وجناها على نفسه ، أو نديمه ، أو حميمه ، أو سائر [١] مَنْ يخصُّه ، إلا على شكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ، ويلحقه مالا يتلافاهُ من العارِ والمسبَّةِ .

٥٤/ظ • - فممن تهيَّأ عليه ذلك من ملوكِ الجاهلية / جذيمة بن مالك الأبرش [٢] صاحب الحيرة ، وخبره مشهور .

• - ومن ملوك الإسلامِ الوليدُ بنُ يزيد بن عبد الملك [٣] ، فإنه لم يزل يُهملُ الأمورَ ، ويُواصلُ السُّكرَ مصطبحًا ومغتبقًا [٤] حتى انتشر أمرُه واضطربَ حبلُه ، فقُتلِ وجماعةٌ كثيرة ، كان السبب في هلاكهم وهلاك مَن يخصهم اختيارهم السُّكْر ، ومطالبتهم به ندمانهم ، ولو ذهبنا إلى تعدادهم ، / وشَرْح قصصهم ٥٥/و لخرجنا بالكتاب عن حده .

* * *

---

(١) فى ص « أو من سائر » واعتمدت ما فى م و ط .

(٢) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وكان يقال له الأبرش ، والوضاح ؛ لبرص كان به ، ملك الحيرة بعد أبيه ، كان لا ينادم أحدًا ذهابًا بنفسه ، وينادم الفرقدين ، فإذا شرب قدم لهذا قدحًا ولهذا قدحًا ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حذيت له النعال ، وأول من رفع له الشمع .

المعارف ٦٤٥ ، والأعلام ١١٤/٢ وما فيه من مراجع .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، يكنى أبا العباس ، بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك ، وكان ماجنًا سفيهًا يشرب الخمر ، ويقطع دهره باللهو والغزل ، سار إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتله ، وقتل مع الوليد ابناه الحكم وعثمان ، وكان يقال لهما الحملان ، ت ١٢٦ هـ .

المعارف ٣٦٦ ، والأغانى ١/٧ ، وخزانة الأدب ٢٢٨/٢ ، ورسالة الغفران ٤٤٣ ، وتاريخ الطبرى ، والكامل فى التاريخ فى أحداث عام ١٢٦ هـ ، ومروج الذهب ٢٢٤/٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٩٧/١ ، وفوات الوفيات ٢٥٦/٤ ، والأعلام ١٢٣/٨ وما فيه من مراجع .

(٤) فى ص « ومعتبطا » واعتمدت ما فى م و ط .

باب
طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

* * *

• - ويقبُحُ بالنديم أن يَسْتَمِيحَ [1] الرئيسَ على سُكْرِه ؛ فإنه يرى أن ذلك يجري مجرَى الخديعةِ ، ويدخلُ في باب الحيلة .

• - وذكروا أن بعض الأجوادِ لم يكن يعطي أحدًا على [2] الشراب شيئًا حتى يصحوَ / ؛ إشفاقا من أن يقال : إن السُّكْرَ حَدَاهُ على السماحةِ ، وكان ذلك فيه عارضًا . ٥٥/ظ

• - فإن عَدَلَ عن المسألةِ في أمرِ نفسه ، واستماحَ لغيرِهِ ، كان ذلك داخلًا في باب حُسْنِ المحضر ، والحَضّ على الكرمِ ، وخرجَ عن باب التغنُّم [3] واللؤمِ ، فإنه يقال : إن كثرةَ الأخذ لؤمٌ ، كما أن كثرةَ الإعطاءِ كرم .

• - وكان العتَّابي واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن / أكثم [4] فقال له العتابي : إن رأيت أن تُعلِمَ أمير المؤمنين مكاني ، فقال : لستُ بحاجب ، فقال : قد علمتُ ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضلِ مِعْوانٌ ، فقال له : سلكْتَ بي غير ٥٦/و

---

(١) في ص « يستفتح » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٢) في ط « من الشراب » .

(٣) في ط « التفنم » .

(٤) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي ، يكنى أبا محمد ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي ، كان متقدمًا في الفقه وأدب القضاة ، حسن العشرة عذب اللسان ، ولاه المأمون قضاء البصرة ، ثم قضاء القضاء ، ويبدو أنه كان محسدًا لمنزلته عند المأمون فنسبوا إليه أشياء تخالف الدين ، وأرى أنها من حسد الرواة عليه . ت ٢٤٢ هـ .

مروج الذهب ٢١/٤ ، وثمار القلوب ١٥٦ ، وتاريخ بغداد ١٩١/١٤ ، ووفيات الأعيان ١٤٧/٦ ، وانظر غزواته وتاريخه في النجوم الزاهرة ٢١٧/٢ ، وتاريخ الطبري جـ ٨ ، ٩ ، والكامل في التاريخ جـ ٦ ، ٧ ، والأعلام ١٣٨/٨ وما فيه من مراجع .

طريقى [١] ، فقال له : إن الله عزَّ وجل قد أَتْحفَكَ بجاهٍ ونعمةٍ ، وهما مقيمان عليك بالزيادةِ إن شكرتَ ، وبالتغييرِ إن كفرتَ ، وأنا لَكَ اليوم خيرٌ لكَ منك لنفسك ؛ أدعوك / إلى ما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك عَلَيَّ ، ولكلِّ شيءٍ زكاةٌ ، وزكاةُ الجاهِ بذلُه للمستعين ، فدخل إلى المأمون فأخبره الخبر ، فأمر للعتَّابى بثلاثين ألف درهم [٢] .

٥٦/ظ

● – فأما إذا لَمْ يَشُبِ المجالسةَ والمحادثةَ النبيذُ [٣] والمراضعة ودَفَعَتْ [٤] ضرورةٌ إلى المسألةِ فالأحـــسنُ فى ذلك ألا يُبْتَدَأ [٥] بالسؤال محضًا وأن يُتوخَّى [٦] له/من الأحاديثِ والمعاريض ما يندرجُ السؤالُ فى تضاعيفِهِ على ألطفِ مايمكن فى ذلك ، وأقربه من النادرةِ والفكاهةِ ، كما فعل المفضَّلُ الضَّبِّى [٧] ، وبايت المهدى ، فلم يزل يحادثه ويناشـــده حتى جرى ذِكرُ حَمَّادِ الرَّاوِيَةِ [٨] ،

٥٧/و

---

(١) فى ط « سلكت معى غير طريقى » ، وما فى ص يوافق ما جاء فى مروج الذهب ١٤/٤ ، وفى م « طريقتى » .

(٢) انظر القصة مع غيرها فى مروج الذهب ١٤/٤ ، وانظرها فى ديوان المعانى ١٥٣/١ باختلاف يسير .

(٣) فى ط « والمحادثة فى النبيذ » .

(٤) فى ط « ودفعة » .

(٥) فى م و ط « ألا يبتدىء » .

(٦) فى ط « وأن يتواخى » .

(٧) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبى ، يكنى أبا العباس أو أبا عبد الرحمن ، كان راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب ، وكان قد خرج على المنصور العباسى ، ولما ظفر به عفا عنه ، ولزم المهدى وصنف له المفضليات . ت ١٦٨ هـ أو بعد ذلك .

المعارف ٥٤٥ ، وتاريخ بغداد ١٢١/١٣ ، والنجوم الزاهرة ٦٩/٢ ، ومعجم الأدباء ١٦٤/١٩ ، ونزهة الألباء ٥١ ، والفهرست ٧٥ ، وبغية الوعاة ٢٩٧/٢ ، وإنباه الرواة ٢٩٨/٣ ، وطبقات النحويين واللغويين ١٩٣ ، والأعلام ٢٨٠/٧ وما فيه من مراجع .

(٨) هو حماد بن سابور بن المبارك ، يكنى أبا القاسم ، وكان أول من لقب بالراوية ، كما كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وكان خلفاء بنى أمية يسألونه عن أيام العرب ، ويجزلون له العطاء ، وهو الذى جمع المعلقات . ت ١٥٥ هـ . =

فقال له المهدى : ما فَعَلَ عياله ؟ ومن أين يعيشون ؟ قال : من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد .

° ° °

= المعارف ٥٤١ ، والأغانى ٧١/٦ ، والفهرست ١٠٤ ، ومعجم الأدباء ٢٥٨/١٠ ، ونزهة الألباء ٣٩ ، ووفيات الأعيان ٢٠٦/٢ ، وخزانة الأدب ٤٤٦/٩ ، وأمالى المرتضى ١٣١/١ و١٣٢ ، والأعلام ٢٧١/٢ وما فيه من مراجع .

باب
هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

* * *

• - وحكمُهُ [1] أن يحضر بزيِّ الموكب ، ولبسةِ الخدمةِ ، والزيِّ الظاهر الذى [2] يُعرفُ به ، ويَشهدُ فيه المجالسَ الحافلة ، من غير أن يتفضل بشىء من ثيابه ، ولا يتشهَّر ، فإن شاء الرئيس أن يغيّرَ زيه ، ويُكرمَهُ بشىء من ثيابه ، فخلع عليه الملوَّنَ والمشهرَ من / أثوابِ النِّدام حسُنَ أن يلبس ذلك فى وقته حتى ينقضىَ المجلسُ ، ولم يحسُنْ أن يحضر فيه ظاهرًا فى مجلسٍ آخر ، لأنه شىءٌ كان الرئيس اختاره فى ساعةِ طربه وتبذُّلِهِ لا فى كل أوقاته . ٥٨/و

• - فأمَّا العمامةُ والخفُّ فسبيلُه ألا يُخِلَّ بهما ، وله أن يلطفهما ويخففهما ، وإنما الغرضُ فى ملازمتهما ألا ينحسرَ الرأسُ ، وتَبدوَ القدمُ .

• - ويذهبون / بذلك إلى إجلالِ السلطانِ العظيمِ عن مشاركته فيما اتسع له من التبذلِ والتخيُّرِ فى الزى الذى لا مشقة ولا ثقل فيه ، والانفراد منه بما ينفصلُ به عمَّنْ هو دونه . ٥٨/ظ

• - وهذا مما يُسلكُ فيه سبيلُ ملوكِ الأعاجم ، وكانوا رسموا لكل طبقةٍ من طبقاتِ أهلِ ممالكهم برسمٍ من الزى ؛ ليتميزوا ، ولا يشتبه سوقةٌ بملكٍ ، ولا دنىءٌ / بشريفٍ ، ولا تابعٌ برئيسٍ . ٥٩/و

• ولكلِّ أهلِ عصرٍ زىٌّ ، إلا أن الأكثرَ والأشبهَ بأهلِ عصرنا وما قرُب منه ما ذكرناه [3] ، والحجةُ فى استحسانِهِ وإيثارِهِ ما بيَّنَّاه .

• - ومما يأخذُ به نفْسَهُ الإسراعَ فى الخطوِ إذا كان حيث يراه الرئيسُ حتى تكون [4] مِشيتُهُ إرْقالًا ، ولا تكون اختيالًا [5] ، ولهذا وما أشبهه من التحفظِ صار ندامُ النظيرِ أنعمَ وأترفَ / وإن كان ندامُ العظماءِ أجلَّ وأشرفَ . ٥٩/ظ

---

(١) انظره فى نهاية الأرب ١٤٧/٦ مع بعض اختلاف .

(٢) فى ظ سقط « الذى » .　　(٣) فى م « ما ذكرنا » .

(٤) سقطت « تكون » من ص　　(٥) من أول الفقرة حتى هنا فى نهاية الأرب ١٤٧/٦

● - وخُبِّرتُ عن الطبقةِ العالية من ندماءِ الخلفاءِ الماضين أنهم كانوا يجتمعون في منزلِ أحدهم ، فإذا مشى بعضُهم في ذلك الموضعِ مشى مسرعًا ؛ وسُئِل أحدُهم عن السبب في ذلك ، فذكر أنه إنما يفعله في كل موضع ، وإن كان لا يلزمه إلا في مجلس الخليفة ؛ حذرًا / من أن يخلَّ بالعادةِ ، فيعدل عنها في موضعها ، فاستحسنت تلك [١] الرياضة . ٦٠/و

● - ومما يلزمه أن يتحفَّظَ منه أيضًا ، ويروض نفْسَه به ألا يصبِّحه ، ولا يُمسِّيه ، ولا يُشَمِّته ، ولا يَسْتَخبره ، وإنما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب .

● - وليس [٢] من حقِّ المنادمِ ذا الرياسةِ والسلطانِ إذا تبيَّنَ لنديمه منه لينُ الخلقِ ، ووطاءُ الكنف / وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدَّالَّةِ ما يجحده حقَّ رياستِهِ ، ويقدح معه في سلطانِهِ ، ويفسد عليه تدبيره . ٦٠/ظ

● - ويقال : ينبغي لمن خُصَّ بالسلطان أن يَستعدَّ للذنبِ لم يَجْنِه ، وأن يكون آنس ما كان به أوْحَش ما يكون منه ، فإن سَلِمَ من ذلك كلِّه فواجبٌ عليه ألا يُخلَّ بتوقي الملالِ ، والتحرزِ من وقوعه .

وقد قال / عبد الله بن جعفر [٣] : من أعظمِ الخرقِ الدالَّةُ على السلطانِ .

● - وبينا [٤] المأمونُ [٥] ينادمُ إبراهيمَ بن المهدى [٦] بعد رضاهُ عنه ، ٦١/و

---

(١) فى ص « ذلك » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٢) انظر فى هذا وما بعده فى باب مدح السلطان وضده وباب مدح عمل السلطان وخدمته وذم ذلك فى كتاب يواقيت المواقيت [تحت الطبع بتحقيقنا] والمحاضرات ١/١/١٨٩ و ١٩٠

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يكنى أبا جعفر ، وهو أول مولود وُلد فى الإسلام بأرض الحبشة ، وكان عبد الله كريمًا ، جوادًا ظريفًا ، عفيفًا سخيًا ، يسمى بحر الجود ، وكان لا يرى بسماع الغناء بأسًا . ت سنة ٨٠ أو ٨٤ أو ٨٥ هـ .

الأغانى الجزء الخامس فى صفحات كثيرة والموشح فى أكثر من موضع والاستيعاب ٨٨٠/٣ ، وفوات الوفيات ١٧٠/٢ وله ذكر كثير فى العقد الفريد والكامل للمبرد ، كما ذكر فى كتب التاريخ كالطبرى والكامل لابن الأثير . والأعلام ٧٦/٤ وما فيه من مراجع .

(٤) فى ط « وبينما » .

(٥) كنت قد قرأت شيئا مثل هذا ولكننى أنسيته . ينظر فى العقد أو عيون الأخبار أو غيرهما .

(٦) هو إبراهيم بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، يكنى أبا إسحاق ، وهو أخو هارون ...

وتغمده[١] ما كان منه ، تبيَّنَ منه دالَّةً أذْكرتهُ بما تقدم من ذنبه ، فنهض ، وأمر بإقراره ومن كان معه على جملتهم ، ثم صارَ إلى مجلسِ جده ، فاستوى على سريره ، وتزيَّا بزىِّ الخلافةِ ، واختصر القضيبَ وتجَلْبَبَ بالبردةِ ، وجمع الجنودَ / في السوَادِ والأسلحةِ ، ومُدَّ السماطان ، وشُهِرت السيوفُ والأعمدةُ ، ثم أُحضرَ إبراهيمُ معنَّتًا معسوفًا ، فلما مَثَلَ بين يديه أطرق عنه مليًا ، ثم رفع رأسه ، وإبراهيم يَرْعَدُ ، فقال : يا إبراهيم ، ما حملكَ على ما كان منكَ ؟ قال : كرسيٌّ خلا من صاحبه يا أمير المؤمنين ، فكنتُ جديرًا بحفظه [٢] عليه ، حتى أعاده الله إليه ، وقد سَبقَ / من عفو أميرِ المؤمنين مالا أخاف عليه الحؤول عنه [٣] ، فقبل عذرَهُ ، وأحسَنَ جائزته ، وردَّهُ إلى مكانه ، وعاد المأمونُ في مجلسِ الندامِ من وقته .

٦١/ظ ٦٢/و

• - وخبَّرني أبي عن أبيه رحمهما الله قال [٤] : كان ينادم إسحاقَ بنَ إبراهيمَ الطَّاهريَّ [٥] جوهريٌّ من جِلَّةِ التجار ووجوههم حتى خُصَّ به ، وتبين لطف موقعه منه ، ولم يكن / أحدٌ يتقدمه عنده ، وكان فيه دَالَّةٌ [٦] ، ومعه أدبٌ

٦٢/ظ

= الرشيد ، ولما حدثت الفتنة بين الأمين والمأمون - وكان المأمون بخراسان - دعا لنفسه بالخلافة ، وبايعه كثيرون ، واستمرت خلافته في بغداد ما يقرب من سنتين ، ولما توجه المأمون إلى بغداد خاف إبراهيم واختفى فترة ، وطلبه المأمون ، واشتد في طلبه حتى عثر عليه ، وسجنه مدة ثم عفا عنه . ت ٢٢٤ هـ .

الأغاني ٩٥/١٠ والنجوم الزاهرة ١٦٩/٢ ، وتاريخ الطبرى والكامل في التاريخ في أحداث سنة ٢٠١هـ ، ومروج الذهب ٢٩/٤ - ٢٣ ، ووفيات الأعيان ٣٩/١ ، والورقة ٢٠ ، وتاريخ بغداد ١٤٢/٦ ، وأشعار أولاد الخلفاء ١٧ ، والأعلام ٥٩/١

(١) تغمده ماكان منه : ستره عليه ، وشمله بعطفه ، ومنه : تغمد الله فلانا برحمته . انظر اللسان .

(٢) في م « يحفظه » بالمثناة التحتية ، وهو تصحيف مطبعى .

(٣) في م « عليه » .

(٤) ينظر في الديارات ٣٩

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي الخزاعي ، يكنى أبا الحسن ، كان صاحب الشرطة في بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كان صارمًا سايسا حازمًا ، وهو الذى كان يطلب العلماء ويمتحنهم بأمر المأمون ، وهو ابن عم طاهر بن الحسين ولذلك ينسب إليه . ت ٢٣٥ هـ .

تاريخ الطبرى جـ ٨ ، ٩ ، والكامل في التاريخ جـ ٦ ، ٧ ، وشذرات الذهب ٨٤/٢ ، والأعلام ٢٩٢/١

(٦) في ص « أنة » واعتمدت ما في م و ط .

يَستحقُّ له تلك المنزلة ، قال : فإنه لمعَه [١] ذات يوم والستارةُ منصوبة ، إذ وُصفَ للمتوكل فَصٌّ كبير جليلُ المقدارِ ، كان وقع إلى هذا الجوهرى ، فوقَّعَ إلى إسحاق بإحضارِ هذا الرجلِ ، ومطالبته بالفصِّ ، ومناظرته على ثمنه .

ووافى التوقيعُ ، فلما نظر إليه دعا بالجلَّادين والسِّيَاطِ ، / فأَمر بتجريد الرجل ، فقال : أيها الأمير ، ما قصتى ؟ ما سببى ؟ فلم يذكر له شيئًا حتى نُصب بين العُقابين ، وكاد السوطُ أن يأخذه ، فلما علم أنه قد رهبَ ، وسكر [٢] قلبُه من الرعبِ والهيبة ما أنساه الدالة والمنادمة ، قال له : فَصٌّ عندك من حاله وصفته ، فقال : أُحضرهُ الساعة ، فيأْمر الأَمير بإطلاقى حتى آتيه به ، قال : لا سبيل إلى ذلك ، فدعا بدواةٍ وقرطاسٍ ، وكتبَ / وهو فى تلك الحال إلى ثقته فى منزله بعلامةٍ قوية ، وأمر بإحضاره الفص ، فأُحضر فى منديلٍ ، وختم عليه ؛ وأنفذه ، ثم قام بنفسه إلى الرجل فتولى حلَّ وِثاقِه ، واعتنقه ، وخلع عليه من فاخرِ كسوته .

٦٣/و

٦٣/ظ

وقال : لم يكن من حقِّ السلطان إلا ما رأيت ، ولو لم أفعلْ ذلك لما أُمنتُ دالَّتك ، ولا كنتَ تُخرجُ مثل هذه العقدة النفسية بتمسيحِ أعطافك ، ولحقنى / من أمير المؤمنين ما يفسدُ حالى وحالك ، فَسَكَن الرجل إلى عذره ، وقَبِلَه .

٦٤/و

* * *

باب
ما يلزم الرئيس لنديمه

* * *

• - قد ذَكَرْنَا من حالِ الرؤساءِ فيما يَسْتَبِدُّون به دُونَ ندمائِهم بمحلِّ السلطان ، وخطرِ الرياسةِ ما أَوْجَزْنَاهُ ، وليست تلك الحالُ خاصةً إلا للْمَلِكِ الأَجلِّ الذى لا يَسَعُهُ الإِخلالُ بالهيبةِ .

٦٤/ظ • - فأَمَّا مَنْ / دُونَهُ فالإنصافُ فى المنادمةِ ، وإغلاقُ بابِ التَّدَفُّـــعِ والتحفظِ وإيثارُ الانْبِساطِ والتبذلِ أَوْلى بهم ، وأدلُّ على كرمِ العشرةِ ، وحُسْنِ الصُّحبة .

• - وعَلَى أنه قد كان من الخلفاءِ والأُمراءِ مَن يَتَوخَّى هذه الحال مع مجالسيه ومنادميه ، كفِعْلِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز [(١)] ، وطرقَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ [(٢)] ، فنهض فأَصلح السِّرَاجَ ، وعاد إلى موضعه ، فأكبر ذلك رجاءٌ / فقال : قمتُ وأنا عمر ، ٦٥/و وعدتُ وأنا عمر [(٣)] .

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ... يكنى أبا حفص ، وأمه أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان يقال له : أشج بنى أمية ، لأنه كان فى جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر ، ويقال له : خامس الخلفاء : لأنه تشبه بهم فى العدل وحسن السيرة . ت ١٠١ هـ .

المعارف ٣٦٢ ، والأغانى ٣٥٤/٩ وشذرات الذهب ١١٩/١ ، وفوات الوفيات ١٣٣/٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٤٦/١ ، ومروج الذهب ١٩٢/٣ ، وتاريخ الطبرى ٥٥٠/٦ ، والأعلام ٥٠/٥ وما فيه من مراجع .

(٢) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندى الشامى ، يكنى أبا المقدام ، كان شريفًا نبيلا ، وهو الذى أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز ت ١١٢ هـ .

المعارف ٤٧٢ ، وشذرات الذهب ١٤٥/١ ، وفيات الأعيان ٣٠١/٢ : وما فيه من مراجع ، وتاريخ الطبرى ٥٥٠/٦ ، والأعلام ١٧/٣ وما فيه من مراجع .

(٣) عيون الأخبار ٢٦٤/١

● - ويزيدُ [(١)] وكان ينادمُ الأَخْطَلَ [(٢)] ، وهجا الأَخطلُ الأَنصارَ [(٣)] هجاءً كثيرًا ، فأَجاره منهم [(٤)] ، وكان يُسَوِّى بينه وبينه فى أكرمِ المواضعِ من مجلسه وهو أمير .

● - والوليدُ بنُ عُقْبة ، ولم يزلْ ينادمُ أبا زبيد الطَّائى [(٥)] ، واليًا ومعزولًا على وتيرةٍ واحدةٍ من الإِنصافِ لا يَنْتَقِلُ عنها ، ويُجِلُّه ويعظِّمُهُ ، ولا يُقدِّم أحدًا عليه ،

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، يكنى أبا خالد ، تولى الحكم بعد موت أبيه معاوية ، وفى عهده قتل الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما ، ولما خلع أهل المدينة المنورة طاعته أرسل إليهم جيشًا كبيرًا وأباحها للجيش ثلاثة أيام ، وفى عهده أيضًا فتح المغرب الأقصى على يد عقبة بن نافع ، ويقال إنه أول من خدم الكعبة ، وكساها الديباج الخسروانى . ت ٦٤ هـ .

المعارف ٣٥١ ، ومروج الذهب ٦٣/٣ ، وانظر تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة ، وفوات الوفيات ٣٢٧/٤

(٢) هو غياث بن غوث بن الصلت .. من نصارى بنى تغلب ، يكنى أبا مالك ، كان مقدمًا عند خلفاء بنى أمية ، وكان له دالة عليهم ، ووصل به الأمر إلى أن تهكم ببعض أمور الدين . ت ٩٠ هـ .

طبقات ابن سلام ٤٥١/١ ، والشعر والشعراء ٤٨٣/١ ، والأغانى ٢٨٠/٨ ، والموشح ٣١١ ، وخزانة الأدب ٤٥٩/١ ، وجمهرة أشعار العرب ٧٢٠ ، والاشتقاق ٣٣٨ ، والعمدة بتحقيقنا ٥٠/١ ، ونوادر المخطوطات ٣١٧/٢ ، ونهاية الأرب ٧٣/٣ ، ومعاهد التنصيص ٢٧٢/١ ، وسمط اللآلى ٤٤/١ ، ومسائل الانتقاد ١١٣ وديوانه ، والأعلام ١٢٣/٥ وما فيه من مراجع .

(٣) فى ط « الأقصار » ، وفى م « الأتصار » وهو تصحيف فى الحالتين .

(٤) كان مما قاله فى الأنصار ماجاء فى الشعر والشعراء ٤٨٤/١ قوله :

ذَهَبتْ قريشٌ بالسَّماحة والندى ... واللُّؤمُ تحت عمائم الأنصارِ

فَذَرُوا المعالىَ لستمْ من أهلها ... وخذُوا مَسَاحِيَكُمْ بنى النجارِ

وانظر فيه شكاة الأنصار .

(٥) هو حرملة بن المنذر أو المنذر بن حرملة ، من طيىء ، وكان جاهليًا قديمًا ، أدرك الإسلام ، واختلف فى اعتناقه الإسلام وكان من المعمرين ، وكان ينادم الوليد ويشرب معه الخمر ، ولما علم بذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل الوليد عن الكوفة وحده فى الخمر .

طبقات ابن سلام ٥٩٣/٢ ، والشعر والشعراء ٣٠١/١ ، والأغانى ١٢٧/١٢ ، وسمط اللآلى ١١٨/١ ، وخزانة الأدب ١٩٢/٤ ، والمعمرون والوصايا ١٠٨ ، ومعجم الأدباء ١٩١/١٠ ، وتاريخ الطبرى ٢٧٣/٤ ، والكامل فى التاريخ ٤٣٩/٢ و ١٠٥/٣

٦٥/ظ حتى هلك أبو زبيد/ فوجَدَ عليه وجدًا شديدًا ، ثم اعْتلَّ ، فيقال : إنه دُفِنَ إلى جانبه ، ومَرَّ بقبريهما أشجعُ بنُ عمرٍو السّلمي [١] ، ومعه صديقان له ، يقال لهما حمزةُ وسعيدٌ ، فوقف بهما ، ثم قال :

[الوافر]

مَرَرْتُ عَلَى عِظَامِ أَبِي زُبَيْدٍ ... رَهِينًا تَحْتَ مُوحِشَةٍ صَلُودِ

نَدِيمٌ لِلْوَلِيدِ ثَوَى فَأَضْحَى ... مُجَاوِرَ قَبْرِهِ قَبْرُ الْوَلِيدِ

وَمَا أَدْرِي بِمَنْ تَبْدَا الْمَنَايَا ... بِأَشْجَعَ أَوْ بِحَمْزَةَ أَوْ سَعِيدِ [٢]

٦٦/و / فيقال [٣] : إنهم ماتوا على هذا النَّسَقِ أولا أولا [٤] .

---

(١) أشجع بن عمرو السلمي ، يكنى أبا الوليد وقيل يكنى أبا عمرو ، من ولد الشريد بن مطرود السلمي ، من أهل الرقة ، قدم البصرة فتأدب بها ، ثم ورد بغداد فنزلها ، واتصل بالبرامكة ، وكان أشجع حلوًا ظريفًا سائر الشعر ، وله كلام جزل ومدح رصين ، ومدح الرشيد فأكرمه أيما إكرام . ت ١٩٥ هـ .

الشعر والشعراء ٨٨١/٢ ، والأغاني ٢١٢/١٨ ، وتاريخ بغداد ٤٥١/٧ ، وطبقات ابن المعتز ٢٥٠ ، وكتاب الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين) ٧٤ ، وسمط اللآلي ٧٤٥/٢ ، ومعاهد التنصيص ٦٢/٤ ، وخزانة الأدب ٢٩٦/١ ، وفوات الوفيات ١٩٦/١ ، ومروج الذهب ٣٩٠/٣ ، والوافي ٢٦٥/٩ ، والأعلام ٣٣١/١

(٢) في م ، ط « بمن قصر المنايا » ، وفي ص كتب فوق كلمة « تبدأ » كلمة « قصر » ، وما في ص يوافق الأغاني وفي المعاهد « تبدو » .

(٣) في ص « فقال » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٤) جاءت القصة والأبيات في الأغاني ٢٥١/١٨ ، ومعاهد التنصيص ٧٥/٤ مخالفة لما هنا ، فقد جاء هناك أن ابن أشجع السلمي قال : لما مر أبي وعماى أحمد ويزيد – وقد شربوا حتى انتشوا – بقبر الوليد بن عقبة ، وإلى جنبه قبر أبي زبيد الطائي – وكان نصرانيا – والقبران مختلفان كل واحد منهما متوجه إلى قبلة ملته ، وكان أبو زبيد أوصى لما احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ، ويتذاكرون أحاديثهما ، فأنشأ أبي يقول :

مررتُ على عظامِ أبي زبيدٍ ... وقد لاحتْ ببلقعةٍ صَلُودِ

وكان له الوليدُ نديمَ صدقٍ ... فنادم قبرُهُ قبرَ الوليدِ

أنيسا أُلفةٍ ذهبتْ فأمستْ ... عظامُهما تآنسُ بالصعيدِ

وما أدرى بمن تبدا المنايا ... بأحمدَ أو بأشجعَ أو يزيدِ

● – والوليدُ بنُ يزيد بنِ عبد الملك (١ نديمُهُ أبو كامل ١) الذى يقول (٢) فيه :

[السريع]

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى أَبَا كَامِلٍ أَنّى إِذَا مَا غِبْتَ كَالذَّاهِلِ (٣)

● – وَحُكِيَ عن الرشيدِ من حُسْنِ المُجَالسةِ ، ولُطْفِ البِرِّ فى المُؤاكلةِ ما يجاوزُ هذا كلَّه ، وهو أنَّ الفَزَارِيَّ قال : دخلتُ إليه بالرَّقَّةِ فى قَصْرِ الخَشَب ، ولم يكن معنا ثالثٌ غير مَنْ يقوم بين يديه من خاصّةِ حشمه / فَتَحاوَرْنَا (٤) مليًّا ، ثم أومأَ إلى بعضهم ، فجاءَ بطبقٍ كبير مُغَطى بِمنديلٍ ، فاستخرج رُطَبةً فأَكلها ، ثم استخرج أُخرى فأَومأَ بها نحوى ، فقمتُ فتناولتُها ، وقبَّلتُ يده ، ثم أمر برفعِ المنديل ، فلما رُفع لم أرَ فى الطبقِ شيئًا ، فقال : إنه كان فيه رُطبٌ أُهدِيَ لنا من العراق ، ولات حين (٥) الرطب ، ولم يكن بقي غير ما رأيتَ ، فعلمتُ أنه أمَرَ بتعظيمه (٦) لئلا أرى قِلَّته ، فأَمتنعَ من أكلِ الرُّطَبة / التى ناولنيها ، وأُوفِرها عليه .

٦٦/ظ

٦٧/و

● – وقدْ رأينا جماعةً من جِلَّةِ الرؤساء ، وعظماءِ أصحابِ السلطان يَبْتَذِلُون أتباعَهُمْ ، ويمتَهِنُونَهُمْ فى الخدمة (٧) فيما يرفعون عن مثله بَعْضَ مماليكم ، فإذا خَلَوْا

= قال : فماتوا والله كما رتبهم فى الشعر ، أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد . وانظر الأبيات فى المختار من قطب السرور ٣٠٥ و ٣٠٦

(١ – ١) مابين الرقمين زيادة من م و ط . وأبو كامل هو الغُزَيّل الدمشقى ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل غير ذلك ، وكان مغنيا محسنا وطيبا مضحكا ؛ وقد ذكر اسمه فى أثناء حديث الأصفهانى عن الأبيات التى أولها :

سَلِّ همَّ النفسِ عنها بِعَلَنْدَاةٍ عَلَاةِ

فقد قال : الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك والغناء لأبى كامل غُزَيّل الدمشقى ، ثم جاءت ترجمته بعد ذلك . الأغانى ٧/٧٤ و ٩١

(٢) لم أعثر على البيت .

(٣) فى م و ط « أبا كامل » وهو تصحيف .

(٤) فى ص « فتجارينا » ، واعتمدت ما فى م و ط .

(٥) فى م و ط « ولا تحين » .

(٦) فى م و ط « بتغطيته » .

(٧) من هنا إلى قوله : « للمنادمة » ساقط من ط .

معهم للمنادمةِ اسْتَوَتْ بهم العشرةُ ، فأَوْسَعُوهُم من البِرِّ [(١)] والتكرمةِ ، وربما تجاوزوا فى ذلك الحدَّ فَخَدَمُوهُمْ ، وأخدموهم أولادَهُمْ ، وانتصبوا / وَأَتكَئُوهُمْ [(٢)] ، وتأخَّرُوا فى المجلسِ وصَدَّرُوهُمْ ، فلا يَقْدحُ ذلك فى رياستهم ، ولا يحطُّ من منزلتهم بأن تسترق لهم قلوبهم ، ويستخلص به نياتهم .

٦٧/ظ

● - وأنشدنى منشد [(٣)] :

[السريع]

فَتًى إِذَا مَا الْحَرْبُ قَامَتْ بِهِ ... قَـامَ مَـقَـامَ الأَسَـدِ الْـوَرْدِ

كَـأَنَّـهُ عَـبْـدٌ لإِخْـوَانِـهِ ... وَلَـيْـسَ فِيهِ خُـلُـقُ الْـعَـبْـدِ

● - وقال آخر [(٤)] :

[الطويل]

وَإِنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا ... وَمَا فِىَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمِ الْعَبْدِ [(٥)]

● - / ويَلْزَمُهُ أَلَّا يسقيَه من غيرِ ما يَشْرَبُهُ إلا باختياره ، واستدعائه شرابًا يستصلحهُ ، ويرى أنه ملائمٌ [(٦)] لجسمه ، فيسقيه مما يلتمسه من مَوْجُودِه ، ولا يمنعه كلما يستزيده من المزاجِ ، ولو لم يتجنبْ ما ذممناه فى تلوينِ الشرابِ إلا لِمَا سار فى هذا المعنى من قول الشاعر [(٧)] :

٦٨/و

---

(١) فى م « من المبرة » . (٢) فى ص « وأتكووهم » ، وفى ط « وأتكوهم » .

(٣) لم أعرف القائل .

(٤) جاء البيت فى البيان والتبيين ٣٠٩/٣ آخر ستة أبيات ، وفى شرح ديوان الحماسة ١٦٦٨/٤ آخر أربعة أبيات ، تحت عنوان : « وقال آخر » فيهما ، ولكن محقق الكتابين ذكر أن البيت لحاتم الطائى ، ولم أجده فى ديوانه ، وفى الأغانى ٧١/١٤ ، والكامل للمبرد ١٧٩/٢ جاء البيت مع غيره منسوبًا إلى قيس بن عاصم المنقرى ، والبيت منسوب إلى دعبل فى عيون الأخبار ٢٤٠/٣ ، وهو فى ديوان دعبل فى الشعر المنسوب إليه وإلى غيره ٣٤٦ نقلا عن عيون الأخبار وجاء دون نسبة فى ديوان المعانى ٩١/١

(٥) فى الأغانى : « وإنى لعبد الضعيف من غير ذلة . وما بى ... » وفى الكامل « مادام ثاويا ... وما من خلالى غيرها شيمة العبد » ، وفى البيان والتبيين « مادام ثاويا ... من شيمة العبد » .

(٦) فى ص « ملا أمة » واعتمدت ما فى م و ط .

(٧) لم أعرف القائل ، وفى هامش م كتب « قوله : ولو لم ألخ جواب لو محذوف تقديره لكفى مثلا » . وأقول : هذا أمر معروف لمن درس النحو والتفسير .

[المتقارب]

رَأيتُ نَبيذَيْنِ فِى مَجْلِسٍ فَقُلْتُ لإخْوَانِنَا : مَا السَّبَبْ ؟

/ فَقَالُوا : الَّذِى نَحْنُ فِى بَيْتِهِ يُفَضِّلُ قَوْمًا لِسُوءِ الأَدَبْ ٦٨/ظ

وقال العَطَوى [١] :

[المتقارب]

نَبيذَان فى مَجْلِسٍ واحِدٍ لِتَفْضِيلِ مُثْرٍ عَلَى مُعْسِرِ [٢]

فَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَا فِى الطَّعَامِ لَزِمْتَ قِيَاسَكَ فِى المُسْكِرِ

• – وكان بعضُ الكرماءِ يأْخذُ نفْسَهُ بإحضارِ الدّنِّ بطينه فيصبّهُ حيثُ يراه إخوانُهُ ومنادموه ، فيبْزُلُهُ بين أيديهم ،ويملأُ [٣] منه الآنية حتى يَتَبَيَّنُوا أن الشرابَ / ٦٩/و واحدٌ لا خَلْطَ فيه .

• – ومن أَبْيَنِ الإنصافِ فى هذا البابِ أن يُفْرِدَ كلُّ نديمٍ بآلتِهِ ومزاجِهِ ، ويُحَكِّمَ على نفسه ، ويُقَلِّدَ سقيها على حسب طاقته واحتماله ، إلا مَنْ كان مُتَجَمِّلًا غير متسعٍ فى الآلة والآنيةِ ، فمهما [٤] أعجزهُ وتعذَّر عليه مِنْ ذلك فإن العدلَ فى السَّقْيِ [٥] يمكنه ولا يعجزه .

• – ويُسْتَحسنُ لأَبِي نُواسٍ [٦] نحو هذا :

[الوافر]

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِنَدِيْمِ صِدْقٍ وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِوَجْنَتَيْهِ [٧]

/ تَنَاوَلْهَا وَإلاَّ لَمْ أَذُقْهَا فَيَأْخُذَهَا وَقَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ ٦٩/ظ

---

(١) البيتان دون نسبة ضمن أربعة أبيات فى الأغانى ٨/٢٥٥ وضمن ثلاثة أبيات فى زهر الآداب ٢/١٠١٢ مع بعض اختلاف فيهما .

(٢) في ط « متر » بالمثناة الفوقية وهو تصحيف .

(٣) فى ص « ويملؤ » ، وفى ط « ويملاء » .

(٤) فى ط « غير متسع فى الآنية ، فهما » .

(٥) سقطت كلمة « السقى » من ص و م واعتمدتها من ط .

(٦) ديوان أبى نواس ١٢٠

(٧) فى الديوان « وقد أخذ النعاس بمقلتيه » .

وَلَكِنَّنِي أُحِيدُ الْكَأْسَ عَنْهُ وَأَتْرُكُهَا بِغَمْزَةِ حَاجِبَيْهِ [١]
فَإِنْ طَلَبَ الْوِسَادَ لِنَوْمِ سُكْرٍ دَفَعْتُ وِسَادَتِي أَيْضًا إِلَيْهِ [٢]

● - ومثلُهُ قول السَّرِيِّ بن عبد الرحمن [٣] فى ظرفاءَ مِنَ الحجازيين[٤] :

[الطويل]

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ الْعُتَيْبَرَ وَذَا النَّدَى جُبَيْرًا وَنَازَعْتَ الزُّجَاجَةَ خَالِدَا [٥]
أَمِنْتَ بِحَمْدِ اللهِ أَنْ تُقْرَعَ الْعَصَا وَأَنْ يُوقِظُوا مِنْ نَوْمَةِ السُّكْرِ رَاقِدَا [٦]

● - وَخَالفَ الحسينُ بن [٧] الضحاكِ [٨] أبا نواس فى أبياته فقال [٩] :

[مجزوء الرمل]

يَا مُدِيرَ الْكَأْسِ حُيِّيـ ـتَ عَلَى الْكَأْسِ بَدِيًّا[١٠]
سَأَقُولُ الدَّهْرَ أَحْسَنْـ ـتَ وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا
لَسْتُ أَسْتَعْفِيكَ مِنْ حَيْـ ـفِكَ فِي السَّقْيِ عَلَيَّا

---

(١) فى الديوان « ولكنى أدير الكأس عنه ... وأصرفها ... » .

(٢) هذا البيت ليس فى الديوان .

(٣) هو السرى بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصارى ، وجده عويم بن ساعدة صحبة بالنبى ﷺ ، والسرى شاعر من شعراء المدينة ، وليس بمكثر ولا فحل ، إلا أنه أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب ، كان هو وعتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف ، وجبير بن أيمن ، وخالد بن أبى أيوب الأنصارى يتنادمون . الأغانى ١٩٨/٢٠ ، والوافى ١٤١/١٥

(٤) البيتان وحدهما فى الأغانى ١٩٨/٢٠ وفى ٢٠١ ضمن ثلاثة أبيات .

(٥) فى ص « وذا الندى خبير » واعتمدت ما فى الأغانى و م و ط .

(٦) فى الأغانى « أمنت بإذن الله » و « وأن ينبهوا من نومة .. » .

(٧) فى م و ط سقطت كلمة « بن » .

(٨) هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلى بالنسب أو بالولاء ، يكنى أبا على ، ويعرف بالخليع ، وهو شاعر ماجن مطبوع ، ويقال إن أبا نواس أغار على شعره فى الخمر ، وقد نادم الأمين والمعتصم ونال منهما جزيل العطايا توفى سنة ٢٥٠ هـ .

الأغانى ١٤٦/٧ ، وطبقات ابن المعتز ٢٦٨ ، ووفيات الأعيان ١٦٢/٢ ، وتاريخ بغداد ٥٤/٨ ، وشذرات الذهب ١٢٣/٢ ، ومعجم الأدباء ٥/١٠ ، والأعلام ٢٣٩/٢ .

(٩) أشعار الخليع ١٢٤ و ١٢٥ نقلا عن أدب النديم .

(١٠) فى م ، ط « على الكأس مديا » . وكذلك فى الديوان .

وفيها يقول :

قَدْ خَلَبْتُ الدَّهْرَ طَوْرَيْـ ـنِ خَلِيًّا وَشَجِيَّا

/ فَأُرَى مِنْ عَدَمِ الصَّحْـ ـوَةِ وَالْكَأْسِ شَقِيَّا ٧٠/ظ

• - وَجَوَّدَ بَعْضُ الكتابِ في قوله [١] :

[الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَعْفٍ مِنَ السُّكْرِ صَاحِبًا إِذَا كَانَ يَهْوَى أَنْ أَصِيرَ إِلَى السُّكْرِ [٢]

وَلَكِنَّنِي أَسْعَى إِلَى السُّكْرِ وَاثِقًا بِمَا فِيهِ إِنْ أَخْطَأْتُ مِنْ سِعَةِ الْعُذْرِ

وَإِنْ هُوَ أَعْفَانِي سَكِرْتُ وَلَمْ أَكُنْ لِأُكْثِرَ مِنْ شُرْبٍ يَزِيدُ عَلَى الْقَدْرِ

* * *

باب
الأدب فى الشطرنج

* * *

٧١/و • – وأما الشِّطرنجُ فليس غرضُنا ذِكْرَ فضائلها فنعدّ / من ذلك ما نسهبُ فيه ، ونأْتى بما ذكره المتقدمون ، ونجتهد فى الزيادة عليه ، وإنما نتوخّى التنبيه على ما يحتاجُ إليه النديمُ فى حالِ اللَّعبِ بها من الأَدبِ الذى يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته إياه [١] مجتمعين على الشطرنج ، فإنه لا يكون بينهما إلا مِساحَةُ الرقعةِ ، ولعلها لا تزيد على الذراع كثيرًا .

٧١/ظ • – والزمانُ بينهما يطولُ فيها ، فواجب على النديم أن يتحفظَ / من نفسه ، ويتعهد من أحوالِ ظاهر جسمه وباطنه ، وشاهدِهِ وغائبه ، ما يأْمنُ معه أن يسبق إلى طرف الرئيس وأنفه من جهته حالٌ يذمُّها ، وليكن على أوْكد ثقةٍ بنقاءٍ [٢] فيه من الخَلُوفِ ، وثَوْبِهِ من الدنس ، ومغابنه [٣] من الدَّرَنِ بتوفية هذه الأَشياء حقَّها من التنظيفِ والتطييب .

• – وليس حقُّ نفسه عليه إذا كان عالىَ الطَبقة أن يبخسها حظها ، ٧٢/و ولا يحطها عن درجته ، توهما أن تغابيَهُ للرئيس [٤] ألطفُ لمنزلته / عنده ، وأعطفُ بقلبه عليه ، كما أنه ليس من [٤] الرئيس المصطفى له عليه أن يتصوره [٥] بصورةِ من يغالطه ، ويسخر منه بإعطائه ما ليس له ، وعلى أن عقولَ الرؤساءِ أقوى ، وفِطنَتهم أرقُ من أن يجوز عليهم مثل هذا .

---

(١) فى ط « إيا » .

(٢) فى ط « بنقاء » بالقاء .

(٣) فى ط « ومعاينه » . والمغابن جمع مغبن : وهو الإبط وبواطن الأفخاذ .

(٤ – ٤) مابين الرقمين ساقط من ط .

(٥) فى ط « يتصور » .

• - ولم تُوضعِ الشطرنجُ على الإنصافِ والعدلِ ، ويدلُّك على ذلك أن أصلَها التكافُؤُ والقيامُ إذا وفى النظر والحساب من كلا [١] الجهتين حقَّهما .

• وأخبرني أبو الحسين / عليُّ بنُ أحمد الكناني [٢] أن أبا بكر الصُّولي [٣] لما حضر مجلسَ المكتفي بالله [٤] أمير المؤمنين في ابتداءِ دخوله ، وكان قبله الماوردي [٥] أثيرًا [٦] عنده متمكنًا من قلبه معجبًا [٧] بلعبه ، فلما لاعبَه الصُّولي بين يديه حَمَلَهُ حُسْنُ الرأيِ في الماوردي والإلف له على نصرته ، وتشجيعه وتنبيهه ، حتى أدْهَشَ ذلك أبا بكر [٨] في أول وَهْلةٍ ، ثم لما اتصل اللعبُ بينهما ، وقَصدَ أبو بكر [٨] قصْدَهُ غلبه غلبًا / لم يكد يرد عليه معه دستا ، وتبيَّنَ الحقُّ للمكتفي ، فعدل عن الهوى ، وقال للماوردي : صار والله مَاءُ وَرْدِكَ بَوْلًا [٩] .

٧٢/ظ

٧٣/و

---

(١) في ص « من كلى » (كذا) .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ، يكنى أبا بكر، ويعرف بالصولي الشطرنجي ، كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، روى عن ثعلب والمبرد وغيرهما ، وروى عنه الدارقطني والمرزباني وغيرهما ، كان نديمًا للراضي والمكتفي والمقتدر . وله تصانيف مشهورة . ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ .

معجم الشعراء ٤٣١ ، ومعجم الأدباء ١٠٩/١٩ ، وتاريخ بغداد ٤٢٧/٣ ، والفهرست ١٦٧ ، ونزهة الألباء ٢٠٤ ، وشذرات الذهب ٣٣٩/٢ ، ومروج الذهب ٣٢٤/٤ ، ووفيات الأعيان ٣٥٦/٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٩٦/٢ ، وإنباه الرواة ٢٣٣/٣

(٤) هو علي بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل ت ٢٩٥ هـ .

انظر الطبري والكامل في التاريخ في أحداث ما بين عام ٢٨٩ و ٢٩٥ ، ومروج الذهب ٢٧٥/٤، وتاريخ بغداد ٣١٦/١١

(٥) لم أعثر له على ترجمة ، ولكن في زهر الآداب ١٠٦٦/٢ ذكر أن اسمه محمد بن أحمد الماوردي ورغم ذلك لم أعثر على ترجمته .

(٦) في ط « وكان قبله الموردي » وفي ص « كبيرًا » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٧) في ص « متعجبًا » ، واعتمدت ما في م ، ط ومروج الذهب .

(٨ - ٨) ما بين الرقمين ساقط من ط .

(٩) انظر القصة في مروج الذهب ٣٢٤/٤ ، ووفيات الأعيان ٣٥٩/٤ نقلا عن مروج الذهب ، وانظرها بصورة أخرى في زهر الآداب ١٠٦٥/٢ ، ١٠٦٦

• - وبلغني أنه رأى [١] بساتين مونقةً ، وزهرًا حسنًا ، فقال لجلسائه وندمائِه : هل رأيتم منظرًا أحسن من هذا ؟ فكلٌّ قال فيه شيئًا ذَهَبَ فيه إلى مَدْحِه ، ووصْفِ محاسنه ، وإنها التى لا يفى بها شىءٌ من زهراتِ الدنيا ، فقال : لعِبُ [٢] الصُّولى أحسنُ من هذا الزَّهرِ ، ومن كلِّ ما تصفون .

ظ/٧٣ • - / ومِمَّا يُستعملُ على الشطرنج النوادرُ المدهشةُ ، وأقولُ : إنها فى تلك الحالِ بمنزلِ الارتجاز الذى يستعمله المقاتلُ عند اللقاء ، [٣] والحادى عند الإعياءِ ، والماتحُ عند الاستقاءِ [٣] ، فهى من عُدَّةِ اللاعبِ ، كما أن الشعارَ والارتجازَ من آلةِ المحاربِ ، وقد قيل فى ذلك [٤] :

[السريع]

كَمْ مِنْ ضَعِيْفِ اللَّعْبِ كَانَتْ لَهُ عَوْنًا عَلَى مُسْتَحْسَنِ الْقَمْرِ

و/٧٤ • - ولستُ أستحسنُها إلَّا فى موضعين : أحدهما : عند وقوفك / على الضَّرْبةِ الغريبةِ الحسنةِ الدقيقةِ وإمكانها إياك بأن يكون اللعبُ لك وفى يدك مثل الشجاعِ الذى إذا رأى مساغًا لِنَابَيْهِ صمَّمَ .

• - وإنْ شَغَلْتَ نفسك بتلك الأعاييثِ ، وأنت محتالٌ لِلَّعبِ [٥] مرتادٌ للغلبِ انقطعتَ بذلك عن الصوابِ .

وإن لم يكن اللعبُ فى يدك تَنَبَّهتَ بما تُظهر فى ذلك العبثِ من نشاطِ خَصْمِك على تفقُّدِ ما لاح لك فتحرَّزَ منه .

---

(١) يتضح من الضمير فى « رأى » أن الرائى هو المكتفى بالله ، وفى مروج الذهب ووفيات الأعيان أن الرائى هو « الراضى » انظر مروج الذهب ٣٢٤/٤ ، ووفيات الأعيان ٣٥٩/٤

(٢) فى ص ، م ، ط « كعب الصولى » واعتمدت ما فى مروج الذهب ووفيات الأعيان ، ويبدو أن الناسخ قد مد فتحة اللام فصارت رأسًا لكاف .

(٣ ٣) ما بين الرقمين زيادة من مروج الذهب و م و ط .

(٤) هذا البيت جاء ثانى بيتين فى محاضرات الأدباء ٧٢٧/٢/١ ، ومروج الذهب ٣٢٦/٤ بدون نسبة ، والبيت الأول هو :

نَوادرُ الشَّطرنجِ فى وَقْتِها أَحَرُّ مِنْ ملتهِبِ الجمْرِ

(٥) فى ط « اللعب » .

والآخر : عند وقوفك / على إمكانِ الضربة الجيدةِ صاحبك وتهيئها [١] له دونك ، فأنت بما تستعمله [٢] في تلك الحالِ تَشْغَلُه وتدهشُهُ حتى يكاد يعمى عن رشدِهِ . ٧٤/ظ

● – وَإِنْ [٣] كان القَمْرُ لك فأحسنُ أحوالك التَّرْكُ على الإحسانِ إن كنتَ مختارًا ، وكذلك إن اتصلَ القَمْرُ عليك ؛ لأَنَّ الإلحاحَ واللجاجَ لا يزيدك إلا بَلادة .

● – وقد قيل في الشّطرنج أشعارٌ كثيرةٌ ، فأَما طوالها فكَثُرَ فيه الحشوُ بما اضطرَّ إليه / القائلُ من الاقتصاصِ ، وقلما اقتُصَّت حالٌ في شعرٍ إلا كان مضعوفًا ، إلا أبياتًا كَثُرَ الشكُّ فيمن تُعْزَى إليه ، وأولها [٤] : ٧٥/و

[البسيط]

أَرْضٌ مُرَبَّعَةٌ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمِ ... مَا بَيْـنَ خِلَّيْنِ مَوْصُوفَيْنِ بِالْكَرَمِ [٥]

تَذَاكَرَا الحَرْبَ فَاحْتَالَا لَهَا شَبَهًا ... مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَا فِيهِ بِسَفْكِ دَمِ [٦]

هَذَا يُغِيرُ عَلَى هَذَا وَذَاكَ عَلَى ... هذَا يُغِيرُ وَعَيْنُ الحَرْبِ لَمْ تَنَمِ [٧]

فَانْظُرْ إِلَى حِيَلٍ جَاشَتْ بِمَعْرِفَةٍ ... فِي عَسْكَرَيْنِ بِلَا طَبْلٍ وَلَا عَلَمِ [٨]

---

(١) في ص « يهيؤها » ، واعتمدت ما في م و ط .

(٢) في ص « يستعمله » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في م و ط .

(٣) في م « وإذا » .

(٤) نسبت الأبيات إلى علي بن الجهم في المستطرف ٥٠٧/٢ ، وقد وجدتها في ديوانه ١٧٩ ؛ مع بعض اختلاف فيهما ، والأبيات في مروج الذهب ٣٢٧/٤ ، ومحاضرات الأدباء ٧٢٦/٢/١ بدون نسبة .

(٥) في المحاضرات ومروج الذهب « ما بين إلفين » .

(٦) في مروج الذهب « من غير أن يسعيا فيها » . وفي المحاضرات « من غير أن عفيا فيها » . وفي المحاضرات والمروج « ... أن يأتيا فيها ... » .

(٧) في المحاضرات :

هذَا يُغيرُ عَلَى هذا فيغلبُهُ ... وذَا يُغير وعَيْنُ الحزم لم تَنَمِ

(٨) في المحاضرات : « انظر إلى فطن جاشت بكرهما » .

في م و ط « إلى خيل جاشت » بسقوط « قد » في الجميع ، وفي مروج الذهب : « فانظر إلى الخيل قد ... » .

٧٥/ظ وأبياتًا تُعْزَى إِلى أبي الحُسينِ أحمدَ بنِ محمدِ بْنِ / أبي البَغْلِ [١] وهي [٢] :

[الطويل]

فَتًى نَصَبَ الشِّطْرَنْجَ كَيْمَا يَرَى بِهَا ... غَرَائِبَ لَا تَسْمُو لَهَا عَيْنُ جَاهِلِ [٣]

فَأَبْصَرَ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ... بِعَيْنِ مُجِدٍّ فِي مَخِيلَةِ هَازِلِ [٤]

وَأَجْدَى عَلَى السُّلْطَانِ فِي ذَاكَ أَنَّهُ ... أَرَاهُ بِهَا كَيْفَ اتِّقَاءُ الْغَوَائِلِ [٥]

وَتَصْرِيفُ مَا فِيهَا إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهُ ... شَبِيهٌ بِتَصْرِيفِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ

• - فأَمَّا النَّرْدُ ففيها ضروبٌ من اللعب [٦] ، وصنوفٌ من الترتيب والنصب ، ٧٦/و إلا أن عدد البيوتِ واحد / لا نقص فيه ولازيادة على الأصل المتعارف ، والفصَّان [٧] فيها محكمان ، وصاحبها مع ذلك - وإن لم يكن [٨] مختارًا ، وكان منقادًا إلى حكم الفصين - محتاجٌ إلى أن يكونَ [٨] سريعَ النقلِ رشيقه ، صحيحَ الحساب مصيبه ، حسنَ الترتيب جيده .

• - ولبعض الأُدباءِ فيها أبيات وهي [٩] :

[البسيط]

لَا خَيْرَ فِي النَّرْدِ لَا يُغْنِي مُمَارِسَهَا ... فَضْلَ الذَّكَاءِ إِذَا مَا كَانَ مَحْرُومَا [١٠]

---

(١) هو أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي البغل ، يكنى أبا الحسين ، كان بليغًا مترسلا فصيحًا ، وكان شاعرًا مجودًا مطبوعًا ، وقد استدعي من أصبهان وكان يليها للوزارة في أيام المقتدر .

الفهرست ١٥٢ ، ومعجم الأدباء ٣٥/١٨ في أثناء ترجمة محمد بن بحر ، والكامل في التاريخ في أحداث عام ٢٩٩ جـ ٦٣/٨

(٢) الأبيات في مروج الذهب ٣٢٧/٤

(٣) في مروج الذهب « عواقب لا تسمو » ، وفي ص « تسموا » .

(٤) في مروج الذهب « وأبصر » ، « بعيني مجد » .

(٥) في مروج الذهب « فأجدى » .

(٦) في ط « ففيها أنواع اللعب » ، وفي م « أنواع اللعب » .

(٧) في ط سقط قوله « والفصان » .

(٨ - ٨) ما بين الرقمين ساقط من ط .

(٩) الأبيات في مروج الذهب ٣٢٧/٤ دون نسبة .

(١٠) في مروج الذهب « حسن الذكاء » .

تُرِيكَ أَفْعَالُ فَصَّيْهَا تَحَكُّمَهَا ... ضِدَّيْنِ فِي الْحَالِ مَيْمُونًا وَمَشْؤُومَا [١]

/ فَمَا تَكَادُ تَرَى فِيهَا أَخَا أَرَبٍ ... يَفُوتُهُ الْقَمْرُ إِلَّا كَانَ مَظْلُومَا [٢] ٧٦/ظ

● - وكتبتُ إلى صديقٍ لى أذمُّ النردَ إليه ، وكان بها لَهِجًا [٣] ، :

[الخفيف]

أَيُّهَا الْمُعْجَبُ الْمُفَاخِرُ بِالنَّرْ ... دِ لِيُزْهَى بِهِ عَلَى الْإِخْوَانِ

قَدْ لَعَمْرِى حَرَصْتُ جُهْدِى عَلَى قَمْـ ... ـرِكَ لَوْ لَمْ تُوَاتِكَ الْفَصَّانِ [٤]

غَيْرَ أَنَّ الْأَرِيبَ يَكْذِبُهُ الظَّنْـ ... ـنُ وَيُمْنَى بِشِدَّةِ الْحِرْمَانِ [٥]

وَلَعَمْرِى مَا كُنْتُ أَوَّلَ إِنْسَا ... نٍ تَمَنَّى فَأَخْلَفَتْهُ الْأَمَانِى

وَإِذَا جَاءَتِ الْقُضَاةُ بِحُكْمٍ ... لَمْ يَجِدْ عَنْ قَضَائِهَا الْخَصْمانِ [٦]

● - وأُنْشدتُ لأَبى نواس فى النَّرْدِ [٧] :

[الطويل]

وَمَأْمُورَةٍ بِالْأَمْرِ تَأْتِى بِغَيْرِهِ ... وَلَمْ تَتَّبِعْ فِي ذَاكَ غَيًّا وَلَا رَشَدَا [٨]

إِذَا قُلْتُ لَمْ تَفْعَلْ وَلَيْسَتْ مُطِيعَةً ... وَأَفْعَلُ مَا قَالَتْ فَصِرْتُ لَهَا عَبْدَا [٩]

● - انتهى بنا القولُ إلى هذه الغايةِ ، وفى بعضِ ما قدَّمْنَا كفايةٌ لِذِى [١٠]

---

(١) فى مروج الذهب « بحكمها » .

(٢) فى مروج الذهب « أخا أدب » .

(٣) ديوان كشاجم ٤٩٧ ، والأبيات فى مروج الذهب ٣٢٧/٤ مع اختلاف فى الترتيب .

(٤) فى م ، ط « ليت كذا لو لم يأتيك ... » وفى المروج « حرصت جهدا » .

(٥) فى مروج الذهب « ويبكى لشدة الحرمان » .

(٦) فى مروج الذهب « وإذا ما القضاة جاءت ... » .

(٧) لم أجد البيتين فى ديوان أبى نواس ، وهما موجودان بنصهما وبنسبتهما إلى أبى نواس فى مروج الذهب ٣٢٨ عن رواية كشاجم للمؤلف .

(٨) فى ط « مأمورة » باسقاط الواو ، وفيه سقطت كلمة « تأتى » .

(٩) فى م « فليست » .

(١٠) فى ط « لذوى » .

التمييزِ والفطنةِ ، وهداية إلى كريمِ الأَخلاقِ في المنادمةِ ، وإن لم نكن [(١)] أحطنا بما يفي بشرطنا في التشبيث [(٢)] فقد نبهنا بيسيرِ ما تهيأ أن نذكره على الجليلِ ، ودللنا بالقليل منه على الكثير ، ونرجو [(٣)] أن نسلمَ مع ما قصدنا له من الحضِّ على جميلِ المروءةِ ، ونهجنا من السبيلِ إلى أحسن العشرة مما يُمْنَى به مؤلفُ الكتابِ من المطاعنِ ، ويستهدف له من المعايبِ إن شاء الله .

* * *

تم [(٤)] كتاب أدب النديم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليمًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل [٤] [(*)]

* * *

---

(١) في ص « يكن » بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في م و ط .

(٢) في ص « التشبيب » واعتمدت ما في م و ط . والتشبث : التعلق بالشيء .

(٣) في ص « ونرجوا » .

(٤ - ٤) ما بين الرقمين ساقط من ط .

(*) انتهيت من عملي في هذا الكتاب في السادس من رجب الخير ١٤٠٦ هـ - وهو السابع عشر من مارس ١٩٨٦ م وكان ذلك في منزلي بعزبة النخل ، والحمد لله أولًا وآخرًا .

فهرس الفهارس

* * *

١ – فهرس الآيات القرآنية

* * *

٢ – فهرس الأحاديث النبوية

* * *

٣ – فهرس الأمثال

* * *

٤ – فهرس الأشعار

* * *

٥ - فهرس الرجز [١]

صدر البيت	قافيته	القائل	العدد	الصفحة
يا سائلي	النعات	ابن الرومي	٨	٣٠و٣١
يا سائلي	الأَنام	اسحاق الموصلي	٨	٣١
لنا رماح	كالمسد	كشاجم	٨	٣١
ألذ	نيسان	بعض المُتأخرين	٨	٣٢
عندي	الكتب	كشاجم	٨	٣٣
ثلاثة	هوائي	بعض الكتاب	٤	٨٧
صادف	من القرى	بعضهم	٢	٩٩

* * *

(١) آثرت أن يكون الترتيب هنا برقم الصفحات .

٦ – فهرس الأعلام

* * *

٧ - فهرس المصادر والمراجع

أخبار أبي تمام	أبو بكر الصولي تحقيق : خليل عساكر وزميله / المكتب التجاري ببيروت
أخبار الراضي والمتقي	أبو بكر الصولي عنى بنشره : ج هيورث / دن دار المسيرة ببيروت
أخبار الشعراء المحدثين	أبو بكر الصولي عني بنشره : ج هيورث / دن دار المسيرة ببيروت
أدب الكتاب	أبو بكر الصولي صححه : محمد بهجة الأثرى / دار الباز للطباعة
الاستيعاب	ابن عبد البر تحقيق : على محمد البجاوى / نهضة مصر
الإسلام والحضارة العربية	محمد كرد على / لجنة التأليف والترجمة والنشر .
الاشتقاق	ابن دريد تحقيق : عبد السلام هارون / الخانجى
أشعار أولاد الخلفاء	أبو بكر الصولي عنى بنشره : ج هيورث دن / دار المسيرة ببيروت
أشعار الخليع الحسين بن الضحاك	جمع وتحقيق : عبد الستار أحمد فراج / دار الثقافة ببيروت
الأعلام	خير الدين الزركلي / دار العلم للملايين
الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني / ط. دار الكتب ودار الشعب
الأمالي	أبو على القالي / دار الكتب
أمالي ابن الشجرى	هبة الله العلوى تحقيق : د. محمود الطناحي / الخانجي
أمالي المرتضى	الشريف المرتضى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / ط. عيسى الحلبي
أمالي الزجاجي	الزجاجي تحقيق : عبد السلام هارون/ المؤسسة العربية الحديثة
إمتاع الأسماع	المقريزى : صححه محمود محمد شاكر / لجنة التأليف والترجمة والنشر

الأمثال	أبو عبيد القاسم بن سلام تحقيق : د. عبد المجيد قطامش نشر جامعة أم القرى
إنباه الرواة	القفطى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الكتب
بغية الوعاة	السيوطى تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم / ط .عيسى الحلبى
بهجة المجالس وأنس المجالس	ابن عبد البر تحقيق د. محمد مرسى الخولى / دار الكاتب العربى
البيان والتبيين	الجاحظ : تحقيق / عبد السلام هارون / الخانجى
تاريخ الأدب العربى	د. شوقى ضيف / دار المعارف
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى / دار الكتاب العربى ببيروت
تاريخ الطبرى	الطبرى : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعارف
تثقيف اللسان وتلقيح الجنان	ابن مكى الصقلى تحقيق : د. عبد العزيز مطر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
تصحيح التصحيف وتحرير التحريف	الصفدى تحقيق : السيد الشرقاوى / الخانجى
التعازى والمراثى	المبرد : تحقيق : محمد الديباجى / مجمع اللغة العربية بدمشق
تفسير روح المعانى	الألوسى / إدارة الطباعة المنيرية
التمثيل والمحاضرة	الثعالبى تحقيق د. عبد الفتاح الحلو / عيسى الحلبى
ثمار القلوب	الثعالبى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / مكتبة نهضة مصر
جمهرة أشعار العرب	القرشى تحقيق : على البجاوى / نهضة مصر
جمهرة الأمثال	أبو هلال العسكرى تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وزميله / المؤسسة العربية الحديثة
حسن المحاضرة	السيوطى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / ط. عيسى الحلبى
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع	آدم متز ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة / لجنة التأليف .
خزانة الأدب	البغدادى تحقيق : عبد السلام هارون / ط. الهيئة والخانجى

ديوان امرىء القيس — تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم / دار المعارف
ديوان البحترى — تحقيق : حسن كامل الصيرفى / دار المعارف
ديوان أبى تمام — تحقيق : محمد عبده عزام / دار المعارف
ديوان حاتم الطائى — تحقيق : د. عادل سليمان / الخانجى
ديوان ابن الرومى — تحقيق : د.حسين نصار / الهيئة المصرية العامة للكتاب
ديوان الشماخ — تحقيق : د. صلاح الدين الهادى / دار المعارف
ديوان على بن الجهم — تحقيق : خليل مردم بك / دار الآفاق الجديدة
ديوان كشاجم — تحقيق : د. النبوى عبد الواحد شعلان / الخانجى
ديوان مجنون ليلى — تحقيق : عبد الستار فراج / دار مصر للطباعة
ديوان المعانى — أبو هلال العسكرى / ط. القدسى
ديوان ابن المعتز — تحقيق : د. محمد بديع شريف / دار المعارف
ديوان أبى نواس — تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالى / دار الكتاب العربى ببيروت
رسالة الغفران — أبو العلاء المعرى تحقيق : د. عائشة عبد الرحمن / دار المعارف
زهر الآداب — الحصرى القيروانى تحقيق : على محمد البجاوى / عيسى الحلبى
الزهرة — ابن داود الأصفهانى تحقيق : د. ابراهيم السامرائى / مكتبة المنار بالأردن
السماع — ابن القيسرانى تحقيق : أبو الوفا المراغى / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
سمط اللآلى — البكرى تحقيق : عبد العزيز الميمنى / لجنة التأليف
سير أعلام النبلاء — الذهبى لمجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة
السيرة النبوية — ابن هشام تحقيق : د. مصطفى السقا وزميله مصطفى الحلبى
سيف الدولة وعصر الحمدانيين — د. سامى الكيالى / دار المعارف
شذرات الذهب — ابن العماد / دار الآفاق الجديدة
شرح ديوان الحماسة — المرزوقى تحقيق : أحمد أمين وزميله / لجنة التأليف
شرح القصائد السبع الطوال — ابن الإنبارى تحقيق : عبد السلام هارون / دار المعارف

شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري : تحقيق عبد العزيز أحمد / مصطفى الحلبي

شعر دعبل بن على الخزاعى — صنعة : د. عبد الكريم الأشتر / مجمع اللغة العربية بدمشق

الشعر والشعراء — ابن قتيبة تحقيق : أحمد شاكر / دار المعارف

صبح الأعشى — القلقشندى / دار الكتب

طبقات الشعراء — ابن المعتز تحقيق : عبد الستار فراج / دار المعارف

طبقات فحول الشعراء — ابن سلام قرأه وشرحه : الأستاذ محمود محمد شاكر ط. المدنى ١٩٧٤

طبقات النحويين واللغويين — الزبيدى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعارف

ظهر الإسلام — أحمد أمين / مكتبة النهضة المصرية

العبر — الذهبى / ط. حيدر أباد ١٣٣٣ هـ .

العبر وديوان المبتدأ والخبر — ابن خلدون / دار الكتاب العربى ببيروت

العقد الفريد — ابن عبد ربه تحقيق : أحمد أمين وزميليه / لجنة التأليف والترجمة والنشر

العمدة — ابن رشيق تحقيق : د. النبوى شعلان / الخانجى

عيون الأخبار — ابن قتيبة / دار الكتب

الفاخر — ابن عاصم تحقيق : عبد العليم الطحاوى وزميله / عيسى الحلبى

الفاضل — المبرد تحقيق : عبد العزيز الميمنى / دار الكتب

الفخرى فى الآداب السلطانية — ابن طباطبا راجعه محمد عوض إبراهيم / دار المعارف ١٩٢٣

فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين — د. مصطفى الشكعة / مكتبة الأنجلو المصرية

الفهرست — ابن النديم تحقيق : رضا تجدد /ط. طهران ١٣٩١ هـ .

فوات الوفيات — ابن شاكر الكتبى - تحقيق : د. إحسان عباس / دار الثقافة ببيروت

القاموس المحيط — الفيروزابادى / المطبعة الحسينية بمصر

الكامل — المبرد تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار نهضة مصر

الكامل فى التاريخ	ابن الأثير / دار صادر
كشف الظنون	حاجي خليفة / ط. استنبول ١٣٦٠ هـ .
لباب الآداب	الثعالبي تحقيق د. قحطان رشيد صالح / دار الشئون الثقافية ببغداد
اللسان	ابن منظور / دار المعارف
مجمع الأمثال	الميدانى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / عيسى الحلبى
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهانى / دار مكتبة الحياة ببيروت
محاضرات عن الحركة الأدبية فى حلب	د. سامى الكيالى / مكتبة نهضة مصر
المحب والمحبوب والمشموم والمشروب	السرى الرفاء تحقيق : ماجد الذهبى / مجمع اللغة العربية بدمشق
المختار من قطب السرور	ابن القاسم الرقيق تحقيق : على نور الدين المسعودى مؤسسة عبد الكريم بتونس
مروج الذهب	المسعودى تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد / المكتبة التجارية
مسائل الانتقاد	ابن شرف القيروانى تحقيق : د. النبوى شعلان / ط. المدنى
المستطرف فى كل فن مستظرف	الأبشيهي قدم له مفيد قميحة / دار الكتب العلمية ببيروت
المصون	أبو أحمد العسكرى تحقيق : عبد السلام هارون / الخانجى
المعارف	ابن قتيبة تحقيق : د. ثروت عكاشة / دار المعارف
معاهد التنصيص	العباسى تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد / المكتبة التجارية
معجم الأدباء	ياقوت تحقيق : د. أحمد فريد رفاعى / دار المأمون
معجم الأدباء	ياقوت تحقيق د. إحسان عباس / دار الغرب الإسلامى
معجم البلدان	ياقوت دار صادر
معجم الشعراء	المرزبانى تحقيق : عبد الستار فراج / عيسى الحلبى

معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة / ط. الترقي بدمشق
المعمرون والوصايا	أبو حاتم السجستاني تحقيق : عبد المنعم عامر / عيسى الحلبي
من غاب عنه المطرب	الثعالبي تحقيق : د. النبوى شعلان / الخانجي
الموازنة بين الطائيين	الآمدى تحقيق : السيد أحمد صقر / دار المعارف
المؤتلف والمختلف	الآمدى تحقيق : عبد الستار فراج / عيسى الحلبي
الموشح	المرزباني تحقيق : علي محمد البجاوى / دار نهضة مصر
المفضليات	الضبي تحقيق : أحمد محمد شاكر وزميله / دار المعارف
نثر الدر	الآبي تحقيق محمد علي قرنة / الهيئة المصرية العامة للكتاب
النجوم الزاهرة	ابن تغرى بردى / دار الكتب
نزهة الألباء	ابن الأنبارى تحقيق : د. إبراهيم السامرائي / مكتبة الأندلس
نهاية الأرب	النويرى / دار الكتب
نوادر المخطوطات	تحقيق : عبد السلام هارون / مصطفى الحلبي
الوافي بالوفيات	الصفدى / النشرات الإسلامية لمجموعة من المحققين / دار صادر
وحي الرسالة	أحمد حسن الزيات / مكتبة نهضة مصر
الوزراء والكتاب	الجهشياري تحقيق : د. مصطفى السقا وزميله / مصطفى الحلبي
وفيات الأعيان	ابن خلكان تحقيق : د. إحسان عباس / دار صادر
يواقيت المواقيت	الثعالبي تحقيق د. النبوى شعلان / الخانجي [تحت الطبع]

* * *

٨ - فهرس موضوعات الكتاب

* * *